جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

بيوتيـقا ما بعـد الإنسـان

– دراسة نقدية إستشرافية –

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في الفلسفة التطبيقية

إعداد الطالبين:

– اسماعيل بوكريطاوي عبد القادر

– بن عزيزة رضوان

إشراف :

– الأستاذة الدكتورة قيلامين صباح

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
		الجيلالي بونعامة	رئيس
		الجيلالي بونعامة	مشرف
		الجيلالي بونعامة	عضو

السنـــة الدراســية: 2023/2022

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

بيوتيـقا ما بعـد الإنسـان

– دراسة نقدية إستشرافية –

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في الفلسفة التطبيقية

إعداد الطالبين:

– اسماعيل بوكريطاوي عبد القادر

– بن عزيزة رضوان

إشراف :

– الأستاذة الدكتورة: قيلامين صباح

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
		الجيلالي بونعامة	رئيس
		الجيلالي بونعامة	مشرف
		الجيلالي بونعامة	عضو

السنـــة الدراســية: 2023/2022

شكـــــر وتقديـــــــر

"الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"

الحمد لله الذي منَّ علينا وأعاننا على إنهاء هذا العمل.

ثم الشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في تحقيق هدفنا هذا.

بدءا بالمشرفة الكريمة الأستاذة الفاضلة ڤيلامين صباح التي لم تبخل علينا لا بالنصيحة ولا بالتوجيه.

ثم وافر الشكر إلى لجنة المناقشة الموقرة على قبول مناقشة هذا العمل.

كما لا يفوتني في هذه المناسبة أن أنسى كل من علمني في كل أطواري التعليمية.

الإهـــــداء

إلى الوالدين العزيزين أطال الله في عمرهما.

إلى الزوجة الكريمة.

إلى أبنائي الأعزاء.

إلى إخوتي و أخواتي.

إلى كل الأهل والأصدقاء.

إلى كل من ساعدني في هذا البحث المتواضع.

إلى كل محب للحكمة معلم كان أو متعلم.

... عبد القادر ...

الإهـــــداء

الحمد لله و كفى والصلاة والسلام على المصطفى وعلى آله وصحبه ومن بهديه اهتدى

وبعد:

إلى اللذان قال فيهما ربنا: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾.

وإلى كل من جمعتني بهم علاقة صداقة من قريب ومن بعيد، وإلى كل من هم في ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

... رضوان ...

مقدمة

مقدمة:

تعد الأخلاقيات الطبية فرعا من فروع الأخلاقيات التطبيقية وتهتم أساسا بطريقة تناولها للقضايا الصحية على نحو خاص وتنشأ من ممارسة الطب، وكما سنرى أنه من الصعب دراسة القانون الطبي دون مواجهة المعضلات الأخلاقية المعقدة، لا شك أن للطب أخلاقيات تفرضها طبيعة هذه المهنة الإنسانية على القائمين عليها، إلا أن تاريخ الطب مع الأخلاق يتحدث عن صورة تحمل قيما إنسانية ومعاني سامية يتمتع بها الطبيب مع المريض؛ فالمريض هو إنسان مستسلم لقدرة الطبيب الذي عقد عليه أمله في الشفاء، إلا أن بوادر التفكير العلمي والطبي المنظم كان مع الحضارات القديمة أهمها: الحضارة اليونانية والحضارة الإسلامية.

إن المعرفة العلمية للطب عند اليونان لم تمنعهم من وضع قواعد أخلاقية تعمل على توجيه ومراقبة الطبيب في عمله، أو في علاقته مع المريض وهو مضمون كتب واجبات الأطباء؛ ككتاب القسم، كتاب القانون، كتاب اللياقة وكتاب النصائح...، وأحسن مثال في هذا الشأن ما يعرف ب "**قَسَمْ أَبُو قْرَاطْ**" الذي يتضمن مجموعة من القواعد الأخلاقية الموجهة للأطباء أثناء مزاولتهم لمهنة الطب، وأرسطو في إطار نظريته الأخلاقية التي تقوم على الحيطة والحذر، أما أفلاطون في كتاب الجمهورية فدعا إلى تزويج الأقوياء بعضهم ببعض هادفا بذلك لتنظيم النسل، أما المسلمون الذين لا يقلون أهمية عن نظرائهم عند الإغريق؛ فقد أبدع العرب والمسلمون من خلال أعمالهم إذ أنهم لم يكتفوا بالاقتباس من التراث اليوناني ؛ فالطب عندهم يتميز بأربعة مبادئ "**التوحيد ، الاعتدال، الغائية والإنسانية**"، وبعد أن تعقدت الحياة بفعل الحداثة والتطور التكنولوجي أصبح للطب أدواته الخاصة وأغراضه المختلفة التي ما انفك إلا وأخذ يبحث في كل صغيرة وكبيرة في جسم الإنسان.

لقد أفرزت منظومة الثورة البيولوجية خلال العقود الثلاثة الأخيرة منظومة معرفية جديدة، والتي واكبت التطورات التكنولوجية؛ إنها منظومة التكنولوجيا الحيوية (البيوتكنولوجيا)، التي استخدمت تطبيقاتها على الكائن الحي في عمليات الإنتاج، فقد شهد عصرنا الحاضر تقدما هائلا في كافة المجالات وخاصة في مجال الطب والبيولوجيا، فهذا التقدم خلص الإنسان من الأمراض التي كان يعاني منها، والتي كان علاجها ضربًا من المستحيل وتحديًا لا معقول، فما كان بالأمس القريب من الخيالات الأدبية أصبح اليوم حقيقة علمية واضحة، وذلك بفضل التطبيقات التكنولوجية من قبيل: التلقيح الاصطناعي، الهندسة الوراثية، الاستنساخ، زرع الأعضاء.

إن حركة الفكر البشري لا تشهد التوقف، هي توالد مستمر لأنها في علاقة دائمة وحياة الإنسان التي لا تشهد الثبات بدورها، فتراكمات الفكر الفلسفي من اليونان إلى العصر الوسيط، من المسيحيين إلى المسلمين خاصة ولدت نهضة حقيقية في أوروبا ثم التقاط الخيط التنويري، بداية من فرنسيس بيكون، روني ديكارت، ثم مع فلاسفة التنوير(فولتير، ج ج روسو، مونتيسكيو) فكان لهذا المد التنويري في الفكر الغربي المعاصر، ثم اكتشاف علوم الطبيعة، باعتبار أنه أصبح للفلسفة أهمية خاصة أكثر من أي وقت مضى لأنها تهتم بالمستقبل، علما أن أي تقدم علمي كبير مرهون دائما بالخيال العقلي للفلاسفة والعلماء على حد سواء، بينما التطور الاجتماعي والحضاري عموما فمرتبط بتأويل الحاضر وتطلعات المستقبل.

ونتيجة لهذه الأوضاع القائمة بدأت المشكلة الأخلاقية، وبرزت على مستوى الساحة الطبية الكثير من الإشكاليات الأخلاقية والخلافات الحادة، وفي سبيل الخروج من هذا الوضع ظهرت "البيوتيقا" كحقل معرفي جديد يعبر عن لقاء آخر بين العلم والأخلاق، وذلك عن طريق المراقبة الأخلاقية لمسار العلم و ممارساته مستعينة في ذلك بالأطباء والفلاسفة ورجال الدين والقانون وعلم الاجتماع وعلم النفس وحتى رجال السياسة، واتسعت دائرة النقاش حول الممارسات البيوتكنولوجية، وهو الأمر الذي دعا إلى قراءة جديدة للقيم الإنسانية والتي أصبحت تهدد بشكل مباشر أو غير مباشر الكيان الإنساني، وكل ما يحيط به، فقد ارتبط ظهور البيوتيقا بما يتعرض له المرضى وأشخاص آخرون تحت طائلة التجارب الطبية، وهذا أول دافع لظهورها، أما الدافع الثاني فهو متعلق بالاهتمامات والتساؤلات الحديثة التي يطرحها التطور الطبي لموضوع البيوتيقا، بسبب عالميتها وطابعها الشمولي مما أثار جدلا كبيرا وواضحا حول المواضيع التي أثارتها البيوتيقا: النواة المركزية، الجهاز العصبي، الإنجاب الاصطناعي، الاستنساخ، الهندسة الوراثية.

إذا انطلقنا من فكرة "أن عصر الفلسفة قد ولىَّ" فيظل ما تشهده الساحة البشرية من تطور تقني، أصبح في نظر الكثيرين أن العلم أضحى مفتاح كل الحلول الممكنة للأزمات التي يتخبط فيها الإنسان المعاصر، إلا أن هذا الاعتقاد يعد باطلا لأن العلم أثبت عجزه في كم من موقف لهذا الهدف الأسمى، فكان على الفلسفة والفلاسفة تحمل مسؤولية ما عجز العلم عنه، وهذا ما لمح إليه إدموند هوسرل (على الفلاسفة أن يكونوا موظفي الإنسانية)، ومعنى هذا أن على عاتق الفلسفة مسؤولية كبيرة اتجاه البشرية الغارقة في أزمات شتى، وعلى الفلسفة أن تربي الإنسان وتنمي فيه الدافع الأخلاقي، خصوصا في هذا العصر الذي يتسم بالفراغ الإنساني، كل شيء فيه يدعو إلى إحياء القيم ومبادئ الأخلاق.

لقد مر الفكر الأخلاقي بمراحل تختلف باختلاف العصور، فكانت الأخلاق في بدايتها علم نظري خاصة مع منظري القيم الأوائل مع فلاسفة الإغريق، ثم انتهت في عصرنا إلى أخلاق تتجسد في تصرفاتنا وعلاقاتنا، أي أنها أصبحت عملية تطبيقية.

إلى جانب ذلك فلقد كان للفلاسفة دورا كبيرا في نشأة البيوتيقا وتطورها، "ف.بوتر وهيليجرز" اللذان يرجع إليهما الفضل في نحت مصطلح البيوتيقا ورسم المسار العام للفكر البيوتيقي، كما لا يمكن إغفال الدور الكبير الذي قام به كالاهان في إضفاء الطابع العلماني علي البيوتيقا وفصلها عن الأخلاق الكلاسيكية التي كانت غارقة في اللاهوت المسيحي إلى جانب ذلك نجد الفيلسوف الألماني الشهير"هانس جوناس" الذي ساهم بأفكاره في التأكيد على الطابع الشمولي للبيوتيقا، وذلك من خلال ربطه بأخلاقيات البيئة من جهة، وخلال إغنائه وتطويره أحد المفاهيم الأساسية التي يقوم عليها الفكر البيوتيقي ألا وهو مفهوم "**المسؤولية**" من جهة ثانية، زيادة على التسمية نجد خطورة الأبحاث الطبية والبيولوجية، والتجارب العلمية بشكل عام، ليس على حاضر الإنسان فحسب، بل على مستقبلنا أيضا، هانس جوناس حاول أن يبحث عن موازنة بين حاجات الإنسان والبيئة من زاوية أخلاقية ويرفض كل تداخل تكنولوجي في حياة البشر.

ولعل أبرز هذه المفاهيم المنبثقة من هذه التحولات البيو–طبية نذكر كل من مفهوم البيوتيقا ومفهوم ما بعد الإنسان، ونتيجة التقاطع بين هذين المفهومين ظهر مفهوم بيوتيقا ما بعد الإنسان، وهو ما كان جوهر بحثنا هذا والذي ومن أجل الإحاطة به والتطلع على مضامينه أكثر ارتأينا معالجة الإشكال التالي:

ما هي التداعيات الأخلاقية التي أثارتها بيوتيقا ما بعد الإنسان؟ وما مستقبل الطبيعة البشرية في ظل هذه التحولات البيو–طبية؟

ومن أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هي:

– الميل إلى المواضيع العلمية وبصورة خاصة فلسفة العلوم.

– راهنية الموضوع وتأثيره المباشر على الحياة الإنسانية والاجتماعية.

– لفت انتباه الدارسين والباحثين لأهمية هذا الموضوع.

– تمحور الموضوع حول الشخصية الإنسانية في حد ذاتها.

أما أهدافنا من هذا البحث فهي:

– محاولة التطلع على المصير المجهول للإنسان وقيمه وقدسيته.

– محاولة تقديم حوصلة تحليلية للوضع التقني المعاصر، والوقوف على أهم المخاطر التي مست الإنسان بصورة خاصة، والمآلات التي قد تؤدي إليها. وهل يمكن الوصول إلى حلول تحد من هذا الوضع التقني.

ومن بين الدراسات السابقة التي اهتمت بالموضوع، والتي اعتمدنا عليها في بحثنا، كتاب(البيوتيقا: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا) للمؤلف "عمر بوفتاس" الذي حاول الوقوف على التناقضات الموجودة بين العلوم الطبية والحياتية، كما كانت هناك دراسة حول(نظرية العدالة وأخلاقيات الطب والبيولوجيا) وهي أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة بجامعة وهران2 "محمد بن أحمد" من إعداد الطالب مطالسي حمى نور الدين، وإشراف أ.د صايم عبد الحكيم. وقد حاول الطالب من خلال الإشكالية التي طرحها تسليط الضوء على التحديات التي تشهدها التطورات العلمية والتكنولوجية في ميدان الطب والبيولوجيا وموقف الأخلاقيات الجديدة منها. وتجدر الإشارة هنا إلى عديد المقالات التي كتبت حول هذا الموضوع والتي جاءت تحليلا لقضايا هذا الموضوع ولأهم القضايا والمشاكل الأخلاقية والقانونية الناتجة عنها.

للإجابة عن هذه الإشكالية ارتأينا وضع خطة تتكون من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة، حيث تناولنا في **الفصل الأول** المعنون بمدخل إلى البيوتيقا، مبحثين: **الأول** بعنوان مفهوم البيوتيقا ونشأتها و**الثاني** بعنوان مجالات البيوتيقا، أما **الفصل الثاني** الذي كان بعنوان "الإنسان بين الفلسفة والعلم" تطرقنا فيه إلى مبحثين **الأول** تحت عنوان المفهوم العام للإنسان في الفلسفة و**الثاني** بعنوان الإنسان في البيوتيقا، أما **الفصل الثالث** فكان بعنوان التداعيات الأخلاقية للبيوتيقا وقد تطرقنا من خلاله إلى مبحثين، أما الأول فكان بعنوان التداعيات الأخلاقية للتحولات البيو–طبية، أما المبحث الثاني والأخير فكان بعنوان بيوتيقا "ما بعد الإنسان"

ولدراسة هذا الموضوع لجأنا إلى استعمال ثلاث مناهج؛ أولها تاريخي يتضح استعماله من خلال إبراز المراحل التي مرت بها الأخلاقيات البيولوجية وبالأخص البيو–طبية، أما الثاني فهو المنهج التحليلي لتحليل الأفكار التي تضمنتها الأطروحة ومحتواها الفكري، من استخلاص النتائج المحققة من الدراسة، أما الثالث فكان المنهج النقدي والذي نهدف من ورائه إلى التفحص النقدي لواقع التطبيقات البيوطبية.

أما فيما يخص الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا في بحثنا هي:

-شمولية الموضوع وعدم القدرة على الإلمام بكافة جوانبه.

- كثرة الدراسات في هذا المجال والتي لم يكن من الممكن الإلمام بها كلها.

- الترجمة التي تتطلب الكثير من الوقت وهذا ما لم يكن في متناولنا البتة.

- علمية الموضوع ودقته التي تطلبت منا التركيز أكثر في المصطلحات.

وفي الأخير نرجو أن يكون هذا البحث جدير بالمناقشة والقبول.

الفصل الأول:

مدخل إلى البيوتيقا

المبحث الأول: مفهوم البيوتيقا ونشأتها.

1- مفهوم البيوتيقا ونشأتها:

إن التقدم الهائل والتطور السريع الذي عرفه العلم في شتى تطبيقاته وفي مختلف تخصصاته وفروعه في العصر المعاصر وما نتج عن هذه التطبيقات من تحول هائل في مجال البحث العلمي عند الإنسان المعاصر، هذا الأخير الذي أصبح بإمكانه التحكم في الطبيعة، بل وتغيير خصائص الكائنات الحية عامة بما فيها التركيب الجيني للبشر، وقدرته على التلاعب بالنسل الحي بفضل التطور التقني والآلي في شتى المجالات والعلمي خاصة في جانب الهندسة الوراثية وما لها من فضل مكن العلماء من إنشائهم نسبيا لجيل بشري معاصر خال جينيا من الأمراض، مما دفع بالفلاسفة، المختصون في الأخلاق، رجال الدين وكذا القانون من الوقوف عند عجلة تطور هذه التطبيقات البيولوجية التي اعتبروها منتهكة لقدسية الحياة البشرية قد تتسبب في المستقبل إلى التغيير الجذري في الماهية الحية عامة والبشرية خاصة.

ومع ظهور التوجهات الأخلاقية التطبيقية المعاصرة دعت إلى إعادة النظر في هذه التطبيقات نظرة قيميّة تضمن مستقبل الإنسان من حيث هو كائن أخلاقي له حقوقه وقدسيته داعمة إياها تلك الأصوات القانونية، هذه الدعوى بتقاطع اختصاصاتها نتج عنها ظهور فرع أخلاقي جديد يصطلح عليه بالبيوتيقا، هذه الأخيرة التي اشتملت على دعوى قيمية للتطبيقات البيولوجية، وللتعرف على هذا الموضوع عن كثب يمكننا طرح التساؤلات التالية:

ما المقصود بالبيوتيقا؟ وما هي الجذور الفكرية والتاريخية لأخلاقيات الطب والبيولوجيا؟ وفيم تتمثل أهم مجالاتها؟

أ- مفهوم البيوتيقا:

أ-1- اصطلاحا :

البيوتيقا «la bioéthique» كلمة من الصعب وضعها في سياقها وذلك لاختلاف اللغات والثقافات

و bioéthique هي أخلاقيات علم الأحياء، أخلاق الطب والحياة؛ فهي متعددة التخصصات، فرغم كل ما قام به الباحثون إلا أنه يشمل دائما مجالات متعددة مثل علوم الصحة وعلوم البشرية وهو ما

تناوله المؤتمر العام لليونسكو حيث تحدث عن المسائل الأخلاقية المتعلقة بالطب وعلوم الحياة ونطاق التقنيات المرتبطة بها على البشر[1]، ولها عدة تعاريفات من بينها:

1- البيوتيقا هي بحث أخلاقي في القضايا المطروحة من طرف التقدم البيو-طبي.

2- البيوتيقا هي الدراسة المتعددة في القضايا لمجموع الشروط يستوجبها تسيير مسؤول للحياة البشرية في إطار التطورات السريعة والمعقدة لمعرفة التقنيات البيوطبية.

3- البيوتيقا هي مجال فكري اتسم باستعمال تقنيات الطب الحيوي الحديثة التي تهدف إلى التوفيق بين البحث العلمي وبين احترام الكرامة البشرية، وقبل ذلك وجب التفريق بين الأخلاق و الإتيقا فاللفظان لهما جذران لغويان مختلفان:

الأخلاق Morale من اللغة اللاتينية Mosmores.

الإتيقاéthique من اللغة الإغريقية éthos.الذي يفيد العادات والتصرف في الحياة وقواعد السلوك[2].

4- البيوتيقا تعني دراسة المعايير التي ينبغي أن تُسَيِّر أفعالنا في ميدان التدخل التقني للإنسان على حياته الخاصة.

5- تشير البيوتيقا إلى جملة من المقتضيات والشروط لاحترام الحياة الإنسانية والشخصية وترقيتها ضمن المجال البيولوجي الطبي.

6- البيوتيقا تهتم بدراسة القضايا الأخلاقية التي يطرحها التقدم العلمي والتكنولوجي وتدخلاته في الجسم البشري والحياة البشرية والتي من شأنها أن تمس بحقوق الإنسان وكرامته وحريته، لأن إساءة

1 -Nouzha Guessous: devenire bioéthicien(ne) to become bioethicist (2005-2007), p6.
الرابط: https://www.cairn.info/publications-de-Nouzha-Guessous--102112.htm
اطلع عليه يوم: 2023/05/12م 16:39.

2- محمد جديدي: البيوتيقا مقاربة علمانية، بحث محكم، مؤسسة دراسات وأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، الرباط، أكدال، المملكة المغربية، 04سبتمبر 2015، ص8.

استخدام تلك المعارف والتكنولوجيا والانحراف بها عن ما يخدم التكنولوجيا والتجارب بالدرجة الأولى، ولكن دون أن يؤدي ذلك إلى عرقلة تطور البحث العلمي في ميادين الطب وعلوم الحياة[1].

7- البيوتيقا هي البحث في توجيه السلوك الإنساني في المجال الحيوي والطبي مما يسمح باحترام الجسد والحفاظ على الحياة الإنسانية في صورتها الطبيعية، كما أنها تحيل المسؤولية التاريخية على عاتقنا مسؤولية اتجاه ذواتنا واتجاه الإنسانية القادمة الموكلة إلينا حمايتها وتعهدها بالرعاية[2].

8- مصطلح "البيوطيقا" يشير إلى جملة من الأبحاث والخطابات والممارسات المتعددة المباحث في الغالب، موضوعها هو تسليط الضوء أو حل قضايا ذات بعد أخلاقي ناتجة عن التقدم والتطبيقات الجديدة للعلوم البيوطبية والتقنو-علمية[3].

أ-2- مفهوم البيوتيقا عند بعض الفلاسفة:

يعرفها "**بيير دي شامب**" أنها "العلم المعياري للسلوك الإنساني الذي يمكن قبوله في مجال الحياة والموت"

بينما يذهب "**دفيد روي**" إلى أن "الأخلاق الحياتية دراسة تداخل جملة الشروط التي تقتضيها إدارة مسؤولة للحياة الإنسانية(أو الشخص الإنساني) في إطار صنوف التقدم السريعة والمعقدة للمعرفة، والتقنيات الحيوية الطبية" والبيوتيقا.

أما "**غي دوران**" فيرى أن البيوتيقا هي "البحث عن جملة المطالب لاحترام الإنسانية والشخص وتقدمها في القطاع الحيوي الطبي"[4]، فربط الحياة بالأخلاق سبيل للتحكم في سلطان العلم وجنون التكنولوجيا، فمن الجهل أن نعتقد أن العلم يسيطر على كل الاحتمالات بل العلم في كثير من قضاياه لم يعد قادرا على إثبات مقولة، أو حتى نفيها.

1- مصطفى كيحل: مدخل إلى قضليا الفلسفة التطبيقية، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، ط1، 2018، ص23.

2- أحمد باحمد: الأخلاق التطبيقية عند يورغن هابرماس، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الفلسفة، إشراف: أحمد عطار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016م، ص45.

3- رشيد دحدوح :(مجلة العلوم الإنسانية: من فلسفة العلوم إلى البيواطيقا- واقع العلوم البيو-طبية وأزمة الوعي الأخلاقي الغربي)، العدد37، جوان2012، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر، ص15.

4- جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، ص ص(110-111).

عرفها "**دفيد روا**" مدير مركز البيوتيقا بمونتريال الكندية هي: "الدراسة المتعددة الاختصاصات لمجموعة من الشروط التي يفرضها التسيير المسؤول للحياة البشرية(أو الشخص البشري)، في إطار التطورات السريعة والمعقدة للمعارف والتقنيات البيوطبية"[1].

إنها الدراسة الفلسفية للجدل الأخلاقي الذي أوجده التقدم الكبير في علوم البيولوجيا والطب، فهي تهتم بالمسائل الأخلاقية التي برزت في العلاقات بين علوم الحياة، التكنولوجيا، الطب، السياسة، القانون، اللاهوت.

لم يكن لمصطلح البيوتيقا(bioethics) bioéthique وجود قبل الثورة البيولوجية والتطورات التي شهدتها هذه الأخيرة، والتقنيات الطبية الجديدة التي أصبحت في كثير من الأحيان تهدد بشكل مباشر أو غير مباشر للكيان الإنساني وكل ما يحيط به لما توفرت هذه الشروط لم يتأخر المفكرون – حتى المتفائلون منهم– في بناء إتيقا العلم éthique de la science لذا يعتبر هذا المصطلح جديدا، طبعا بعد تمييزه عن الأخلاق الطبية[2] Déontologie.

إن التخصص في الأخلاق من الأمور التي لا يمكن ضبطها؛ لأننا نعجز تماما عن وضع معايير للمتخصص في هذا المجال، وعلى الرغم من ذلك، فإن المفكرين المعاصرين يعتقدون أن فكرة التطور في مجال الأخلاق يمكن تحقيقها بتوفر قدر كاف من القدرات الذهنية التحليلية، والاستقامة في استيعاب المفاهيم المجردة، ولكن تراكم المعرفة يثير تساؤلا فيما إذا كان التحدي في مجال الأخلاق يكمن في عدم استيعاب هذا التراكم المعرفي، أم في الاستعداد السليم الذي يتمثل في أن كل معرفة تعيننا على الامتثال لما نمتلكه من قبل، وهو الضمير الخلقي. بهذا فإن مجال البيوتيقا ليس مجرد معرفة، بل هو مؤسسة منظمة في إطار النمو[3].

كلمة أخلاق في معجم "**دومينيك لوكور**" **Dominique lecourt** تستعمل عند القدامى كوسيلة بها نحكم ونميز الأفعال الخيِّرة من الأفعال الشريرة، أما مع كلمة Bioéthique فإن الأمر يتعلق بكلمة

1– مقال: البيوتيقا، سلطة التقنية وتنافر القيم، رجاء بن سلامة، الأربعاء 02 ديسمبر 2009، موقع: حصاد، الرابط: http://vfll.blogspot.com/2009/12/blog-spot_1383.html.

2– حسن المصدق: البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف بيروت دار الأمان،ط1، 2014،ص163.

3– حسن المصدق: البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، المرجع نفسه: ص163.

مولَّدة (جديدة) استعملت لأول مرة في سنة 1970 من طرف الطبيب الأمريكي المتخصص في الأورام السرطانية "فون رونسيلير بوتر" Van Rensselaer Potter في مقال نشر عام 1970 بعنوان "البيوتيقا علم البقاء على قيد الحياة"، ثم طوره إلى كتاب نشر في العام الموالي بعنوان: "البيوتيقا: جسر نحو المستقبل" "Bridge to the future bioethics"[1] والذي اعتبر فيه البيوتيقا على أنها أخلاق الطب، أو على أنها أخلاق البيولوجيا، ولكنها بمثابة أخلاق تأخذ بعين الاعتبار الارتباطات أو العلاقات الموجودة بين الكائنات الحية[2].

لقد صاغ "**بوتر**" كلمة البيوتيقا بعد أن سعى إلى تقليص الهوة بين المعارف العلمية الطبية والمعارف ذات الطابع الإنساني الأخلاقي وكان همه الوحيد يتمثل في البحث عن سبيل الحفاظ الحياة الإنسانية من خلال تأسيس مجال علمي أشمل يجيب على تساؤلات متعددة.

وعرفها الفيلسوف الأمريكي "لوروي والترس"Leroy Walters (1931–2007) ب (أنها فرع من فروع الأخلاق التطبيقية التي تتخذ موضوع درسها التطبيقات والتطورات التي تحدث داخل حقل البحث البيو–طبي)[3].

كما يرى محمد عابد الجابري(1935–2010) "أنه مع هذه التطورات التي شهدتها العلوم ومع التطورات التكنولوجية وخاصة مع تطور علم الأحياء أو ما يسمى بالبيولوجيا أدى إلى أزمة أفقدت الأخلاق قيمتها وذلك بسبب ربطها بالجانب العضوي والعلمي حيث أصبحت لا تستوعب ما وصل إليه هذا التقدم والممارسات القائمة، وهذا ما أسماه ب "دعوة الأخلاق" فيقول (هي دعوة تتمثل بصفة خاصة في ردود فعل تبلورت بكيفية خاصة في قيام ما أطلقنا عليه في السنوات الأخيرة اسم "البيواتيك" أي أخلاقيات البيولوجيا (أو علم الأحياء))[4].

1- Dominique lecourt(sous la direction), dictionnaire de la pensé médicale, paris, P.U.F/Quadrige, 2004, p158.

2- حسن المصدق: البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنيةk مرجع سابق، ص164.

2- جان فرانسوا دورتييه: معجم العلوم الإنسانية، تر: جورج كتورة، أبو ظبي، دار الكلمة، ط4، 2009، ص: 29.

4- محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص64

2- نشأة البيوتيقا

أ- الجذور الفكرية:

الفكر الأسطوري عند الإغريق: كل فلسفة أو تنظير فكري جديد إلا وله أصوله الفلسفية والنظرية[1]، وهو حال الفكر الأخلاقي الجديد الذي تبلور بشكل واضح في ميادين الطب والبيولوجيا لهذا نجد بعض الباحثين يرجعونها إلى المرحلة اليونانية سواء تعلق الأمر بالثورة الطبية والبيولوجية، أو بالثورة الأخلاقية المصاحبة لها، بالنسبة للمستوى الأول؛ يربط بعض الباحثين الثورة الطبية والبيولوجية بالأساطير اليونانية التي يتناول بعضها موضوع الإنسان القوي بفضل معارفه المكتسبة من إخضاعه للطبيعة وتسخيرها لصالحه، وتجدر الإشارة هنا بالخصوص إلى بطل أسطورة "النار المقدسة" بروميثوس، وعالج بعضها الآخر موضوع تطور الإنسان وتشبيهه بالآلهة على مستوى قدراته، والإحالة هنا إلى اتصاف الآلهة في الميثولوجيا اليونانية وإلى المسوخ والهجائن التي تتناولها تلك الميثولوجيا بشكل مسهب.

أفلاطون (427-347 ق م):يحيل بعض الباحثين الجذور الفكرية للبيوتيقا إلى أفلاطون ونظريته حول تحسين النسل؛ حيث اقترح في جمهوريته ضرورة تزويج الأقوياء من الجنسين ببعضهم البعض مقابل تعقيم الضعفاء والتخلص من العجز كإحدى سبل تحقيق المجتمع المثالي.

أبو قراط (460-370 ق م): ويعد من أبرز الشخصيات في تاريخ الطب عبر التاريخ، والذي عرف بقسمه المشهور والمتضمن لجملة من القواعد الأخلاقية الموجهة للأطباء أثناء مزاولتهم لمهنهم، والتي ما زال تأثيرها قائما إلى اليوم.

أرسطو(384-322ق م): والذي أقام نظريته الأخلاقية على ضرورة الحيطة والحذر والحكمة والتعقل، والتي تعتبر موجها أخلاقيا أساسيا للممارسة في ميادين الطب والبيولوجيا.

فلسفة الأنوار: كان لفلسفة الأنوار أثرا واضحا في نشأة الفكر البيوتيقي وتبلوره، ويتجلى هذا الأثر في تأكيد هذه الفلسفة على قيمة العقل وعلى حرية الفرد، أي الدعوة الصريحة إلى تحرير الإنسان من كل استغلال واضطهاد، والبداية من تحرير وعيه الذاتي وصولا إلى وجوده الاجتماعي[2]، فالحرية –

1- عبد الغفار مكاوي: رسالة التفلسف، البيوتيقا، أوراق فلسفية، مجلة غير دوري: العدد 36، سنة 2013، ص28.

2- ماركوز هربرت: فلسفة النفي، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الآداب، لبنان، بيروت، 1981، ص 125.

حسب **روسو**(1712-1778)- هي المبدأ الأساسي للوجود الإنساني كما اعتبر الإنسان"خيِّرٌ بطبعه" والمجتمع هو من أفسده، وهذا الفساد مرتبط بالتقدم العلمي والفني لذلك المجتمع؛ بمعنى كلما تقدم المجتمع كلما زاد فساد أخلاق الإنسان، ولتحقيق الحرية الأخلاقية لابد من إبرام عقد بين الجميع يلتزمون به ويمارسون حريتهم بموجبه، ويحققون بذلك الإرادة العامة التي تتماشى وطبيعة الإنسان(خيرة) وطاعة القانون هو تجسيد للعقد الاجتماعي المبرم، والذي يهدف إلى إصلاح الأخلاق الفاسدة التي يعانيها المجتمع، وتعويضها بأخلاق تسودها المحبة والمساواة والحرية، وهذا ما ساهم فيما بعد في ظهور فكرة حقوق الإنسان، ومن ضمنها الحرية، العدالة، المساواة، وسيادة العقل البشري.

إن حقوق الإنسان هي التعبير القانوني عن الكرامة الإنسانية كقيمة عالمية والتي قد تطورت في شكلها العام لتهتم بميداني الطب والبيولوجيا.

فلسفة كانط الأخلاقية: لقد شكلت فلسفة الأخلاق عند كانط Immanual kant(1724-1804) أثرا بالغا في الفكر الأخلاقي الجديد رغم اختلافهما الشكلي؛ فالأولى تهتم بما يجب أن يكون، فيما تهتم الثانية بما هو كائن، إذ يعتبر كل من "الواجب الأخلاقي" ومبدأ "الكرامة الإنسانية" القاسم المشترك الأكبر بين المبدأين، حيث نجد المبدأ الثاني "الكرامة الإنسانية" في قول كانط (اتخذ الإنسانية في تشريعاتك غاية لا وسيلة)[1]، فالكرامة حق إنساني مقدس يجب حمايته والدفاع عنه، بما في ذلك المرضى والقاصرين عقليا وغيرهم، وعدم استغلالهم كوسيلة لتحقيق منافع شخصية أو اجتماعية؛ كاستغلال بعض الأطباء لمرضاهم لإجراء تجارب طبية عليهم غير مهتمين في ذلك بمصيرهم، ودون الأخذ بإذنهم ولا إذن ذويهم في ذلك، وبذلك فقد انتهكوا الكرامة الإنسانية انتهاكا صارخا[2].

أما مبدأ الواجب الأخلاقي فيلخصه كانط بقوله (اعمل وفق إرادتك الحرة الخيرة، كما لو كان عملك هذا سيصبح قانونا عاما للطبيعة)[3]، أي أن الفعل الأخلاقي فعل حر بعيد عن كل إكراه داخلي أو خارجي، وكأنه تابع في ذلك لقوة الطبيعة الكلية و الشاملة والموجهة من الإرادة الخيرة وحدها التي يعتبر الواجب الأخلاقي مبدؤها الوحيد، والذي من الواجب واللازم احترامه والعمل بمقتضاه، والتحرر من كل ميول أو رغبة، وهذا ما ينطبق اليوم مع ما يعرف بالموت الرحيم بالنسبة للشخص الذي يعاني من الألم

1- إيمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار المكاوي،(ألمانيا: منشورات الجمل،ط1، 2002)، ص109.
2- إيمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، المرجع نفسه: ص94.
3- إيمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، المرجع نفسه: ص97.

الشديد فيقرر وضع حد لحياته عوض الصبر والمكابدة والحفاظ على حياته لا لشيء آخر سوى أن ذلك واجب عليه (التحمل والصبر)، أو حال الطبيب المقصر في واجبه أثناء أداء مهامه؛ فليس ذلك من الأخلاق في شيء – حسب كانط– خاصة إذا ألحق الضرر بمرضاه بسبب سلوكه ذاك، وهو نفس الطابع الأخلاقي الذي انبثق بوضوح في الفكر الأخلاقي الجديد في ميادين الطب والبيولوجيا والمحدد والموجه لعمل الطبيب أو الباحث اتجاه الإنسان والإنسانية ، وحتى لا تقتصر العلاقة بين الطبيب والمريض على العلاج فقط ، بل تتجاوز ذلك إلى الاحترام التام والمتبادل بين الطرفين؛ فللمريض الحق في تقرير مصيره بالموافقة الواعية، وصون كرامته، وعدم التعرض للاستغلال، وهذا ما كان محل العديد من التجاوزات في تاريخ الطب المعاصر.

الفلسفة الوجودية* (سارتر أنموذج):

أثرت الفلسفة الوجودية في الفكر البيوتيقي خاصة مع جون بول سارتر(1905–1980) وساهم بفلسفته في بزوغ النزعة الإنسانية التي كانت من جواهر الفكر البيوتيقي، حيث اتخذ من الحرية والمسؤولية والالتزام مبادئ أساسية للقيم الإنسانية باعتبار الإنسانية جوهرا ساميا، الأمر الذي يجعل الإنسان حر في إنسانيته، مصون في كرامته، والحرية – في نظر سارتر– معطى فطري في الإنسان؛ إذ لا فرق بين وجود الإنسان ووجوده حرا، فماهية الإنسان الحقة في حريته[1]، وبها يحقق كل ماهية يصبو إليها، والحرية هنا ليست غاية للإنسان وفقط بل هي مبدأ كلي لكل ماهية.

كما يتجلى تأثير فلسفة سارتر خاصة في تأكيده على الحرية الفردية والتي نجدها في الحق في تقرير المصير والموافقة الواعية للمريض ؛ قبل أي علاج أو تجربة أو حرية اختياره للعلاج المناسب أو حتى اختيار المعالج نفسه (الطبيب) وإلا فمن حقه اليوم (في بعض الدول) رفع دعوة قضائية ضد كل من يتجاوز هذه الحقوق، كما يحق له تعيين محامين مختصين في هذا الميدان.

1– جون بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، تر:كمال الحاج، (بيروت: دار مكتبة الحياة، 1978)، ص58.

*– الوجودية تيار فلسفي ظهر في القرن العشرين يعلي من قيمة الإنسان و يرفع مكانته في هذا العالم، ويجعل منه الكائن الوحيد الذي سبق وجوده ماهيته، والوجودية نوعان: وجودية مسيحية يمثلها كيركجارد، مارسيل، ووجودية ملحدة يمثلها سارتر وتعود جذور نشأتها إلى الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي نجمت عن الحربين العالميتين الأولى والثانية ونتيجة الشعور بالقلق والخوف على الإنسان من حيث حريته ومصيره.

والالتباس الذي نجده في فكر سارتر الأخلاقي هو أن الإنسان وحده من يضع القيم الأخلاقية وذلك من منطلق حريته وقدرته على تحمل مسؤولياته؛ فإذا سلمنا بذلك نجد أن الإنسان بحريته هذه قد يقوم على الإجهاض أو القتل الرحيم كحل للمشكلة التي يعانيها، كما أنه بذلك يلزم البشرية جمعاء باختياره[1] هذا والذي قد يؤدي إلى نتائج وخيمة، ومن هنا قد أفرط "**سارتر**" في إعلاء أهمية الذات والحرية إلى حد الإفراط، بحيث أصبحت القيم الأخلاقية أسيرة الظروف والحالات الخاصة[2].

الفلسفة البراغماتية: تعتبر الفلسفة البراغماتية* أبرز مصدر فلسفي للبيوتيقا ويتجلى تأثيرها في الطابع العملي لها؛ ذلك أن الفكرة تكون صحيحة بصحة نتائجها وتكون القضية صادقة إذا أدت إلى نتائج نافعة وقبلناها من حيث قابليتها للعمل، أي أن الفكرة الصادقة هي الفكرة العملية النافعة لنا ، فمثلا: وسائل منع الحمل قد انتشرت في الأسواق والصيدليات لا لتعرض في الواجهات الزجاجية، بل لتباع بكميات كبيرة لأن ذلك يعود بالمنفعة المادية على الكثير من المختبرات الطبية[3].

كما يظهر تأثير البراغماتية على البيوتيقا في الطابع النسبي لها؛ فالتطبيقات الطبية والبيولوجية وتكنولوجيا الحياة في تقدم وتطور دائم ومستمر إلى جانب ما تفرزه من مشاكل أخلاقية وقانونية واجتماعية غير مسبوقة، كما أن الفكر البيوتيقي ليس فكرا نظريا يقوم على ما يجب أن يكون، وليس همه تشييد منظومة أخلاقية مثالية نموذجية يفرض على الأطباء والباحثين السير على نهجها، بل هو فكر ينبثق من الممارسة الطبية والبيولوجية التي لا تتوقف على التجديد والتطور، وهذا بالضبط ما يفسر طابعها النسبي، ناهيك عن التحليل الموضوعي للمشاكل والقضايا المطروحة.

كما ساهم المنهج التحليلي في انتشار طريقة دراسة الحالات؛ حيث نجد حالات خاصة لا توجد لها حلول مطلقة عامة وشمولية، إذ لكل حالة خصوصياتها، ما يتطلب حلول خاصة تلائمها.

1- جون بول سارتر :الوجودية مذهب إنساني، المرجع نفسه، ص46.

2- جوزيف معلوف: الأخلاق و الطب(بحث في وسائل منع الحمل والإجهاض والتلقيح الاصطناعي والقتل الرحيم)، لبنان: جونيه المكتبة البوليسية، ص ص(55- 57).

*- وهنا يحضرنا تلك التجارب الطبية على الأسرى والمهاجرين الذين استعملوا كفئران تجربة بطرق شنيعة.

3- جوزيف معلوف: الأخلاق والطب، ص35.

*- البراغماتية Pragmatisme لفظ مشتق من الكلمة اليونانية Pragma، ومعناها العمل، وهي مذهب فلسفي يستند إلى أن فكرة أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح؛ فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة عمليا وتجريبيا، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية.

ب- **الجـذور القانـــونـيـة:**

1- **معاهدة نورمبرغ:** Code de Nuremberg

يرجع البعض النشأة القانونية الأولى للفكر البيوتيقي إلى معاهدة نورمبرغ المبرمة في أوت 1947 بنورمبرغ الألمانية من قبل قضاة أمريكيين بعد محاكمة مجموعة من الأطباء النازيين المهتمين بإجراء التجارب البشرية القاتلة والتعذيب في معسكرات الاعتقال بهدف التطهير العرقي أو من أجل تعزيز العرق الآري[1] وذلك دون التقيد بالشروط القانونية[2].

ولقد جاء قانون نورمبرغ (1947) ليحدد شروط التجريب على البشر، والذي كان مصدر إلهام للإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948، وقد وضعت هذه المحاكمة القواعد الأولية للتجارب وكذا الاختبارات على البشر، وفيما يلي أهم بنود هذه المعاهدة:

- الموافقة عن علم بالأمر وعواقبه: لا تجري التجارب على البشر إلا إذا أخذت الموافقة التامة من المتطوعين والقائمة على العلم بالأمر، وكذا عواقبه.
- القيمة الاجتماعية: يجب أن نتوقع من التجارب أن تؤدي لنتائج مفيدة للمجتمع.
- السلامة العلمية: يجب أن تكون التجارب سليمة علميا، ومصممة بشكل جيد، ولا يجريها إلا علماء مؤهلون جيدا.
- عدم الإيذاء: لا تجرى تجربة يمكن أن ينتج عنها موت أو إعاقة أو عاهة مستديمة؛ يجب أن يتخذ المجربون كافة التدابير اللازمة لتقليل المخاطر وتقليص الألم إلى حده الأدنى.
- التوقف عن إكمال التجربة: في أثناء التجربة يمكن أن تتوقف الذوات البشرية عن مواصلة الإسهام فيها لأي سبب من الأسباب ، هذا معناه أنه من اللازم أن يكون المجربون مستعدين لإيقاف التجربة إذا كان الاستمرار فيها قد يؤدي إلى الأذى أو الموت[3]

1- www.ar.wikipedia.org، اطلع عليه يوم: 2023/02/14، 22:13.

2- نصر الدين مروك: الحماية الجنائية للحق في سلامة الجسم،(الجزائر: الديوان الوطني للأشغال العمومية،ط1، 2003)، ص301.

3- ديفيد.ب. رزنيك: أخلاقيات العلم، تر: عبد النور عبد المنعم، مطابع السياسة، الكويت، 2005، ص194.

- بناء التجربة على معرفة سابقة: أي ضرورة أن تكون التجربة قد أجريت من قبل على حيوانات أو بالاعتماد على معلومات طبيعية، مما يجعل من إجراء التجربة مبررا .

- أولوية الفائدة المرجوة على الأضرار الناجمة: من الضروري أن تغلب الفائدة المرجوة من التجربة على الأضرار الجانبية الناجمة عنها، وكل ذلك في الحدود الإنسانية.

- يجب أن تكون للشخص المجرب عليه الفرصة لإنهاء التجربة في أي وقت، عندما يشعر أنه غير قادر على المواصلة من الناحية الجسدية أو النفسية[1].

- إمكانية إصلاح النتائج السلبية المنتظرة.

وبهذا نجد أن مضمون هذه المعاهدة كان بمثابة تأسيس للبيوتيقا، بما أنه عالج بطريقة رسمية وعلى مستوى عالمي مسألة الموافقة الواعية للمتطوعين المشاركين في إجراء التجارب الطبية، مع مراعاة عدم وجود خطر على حياتهم، مع إمكانية إيقاف التجربة في الوقت الذي تقتضيه الضرورة، على أن تسبق التجارب على البشر تجرب مقابلة لها على الحيوانات، فضلا عن ضرورة توفر الأهلية العلمية عند المجربين، كما تجدر الإشارة إلى أنه قد تم التحذير هنا من مخاطر التقدم العلمي.

2- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: Déclaration universelle des droite de l´homme

ويبرز دور هذا الإعلان(الصادر عام 1948) في نشأة البيوتيقا من خلال نصوصه القانونية التي ترمي إلى حماية الأشخاص من خطر التعرض لإجراء التجارب الطبية والعلمية؛ ففي مادته الأولى نجد(كل الناس يولدون أحرارا و متساوين في الكرامة والحقوق..) أما المادة الثالثة فتنص على(...لكل فرد الحق في الحرية والحياة وسلامة الشخصية)، وفي المادة الخامسة(...لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطة من كرامته..)[2] ، أما المادة السابعة (..وهم

1- www.ar.wikipedia.org اطلع عليه يوم: 2023/02/14، 22:13.

2- نصر الدين مروك: الحماية الجنائية للحق في سلامة الجسم، ص ص(299-300).

يتساوون في حق التمتع بحماية القانون دونما تمييز، كما يتساوون في حق التمتع بالحماية من أي تمييز ينتهك هذا الإعلان)[1].

فحقوق الإنسان هي التعبير القانوني عن الكرامة الإنسانية، وهذا يعني أن صياغتها كاقتراح عالمي يعني احترام الكرامة الإنسانية باعتبارها قيمة عالمية، إن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان جاء لتأكيد على كرامة الفرد نفسه، وأن كل أجزاء جسمه ملك له[2].

3- الجمعية الطبية العالمية: L´association médicale mondiale

تأسست سنة 1947 والتي كان لها دور فعال في نشأة البيوتيقا ومقرها فيرني فولتير Ferney voltaire، وهي من الجمعيات الهامة التي قامت بإصدار العديد من النصوص المتعلقة بالمشاكل التي تطرحها التطورات الطبية، كما كان لها دور في حماية الإنسان وحقه في سلامة جسمه في مواجهة التجارب الطبية، فضلا عن تأكيدها على أولوية مصلحة الفرد على العلم[3].

4- **اتفاقية جنيف:** أبرمت هذه الاتفاقية في العاصمة السويسرية عام 1949، تم فيها الدعوة إلى ضمان حقوق الإنسان خاصة أثناء الحروب، كما حذرت من إجراء التجارب البيولوجية؛ كتجريب الأدوية على الأسرى، حيث اعتبرت مثل هكذا تجارب بالخطيرة وتصنيفها ضمن الجرائم، وقد عدلت هذه الاتفاقية مرات عدة من قبل الجمعية الطبية العالمية؛ أولها في سيدني الأسترالية عام 1968، ثم في البندقية بإيطاليا عام 1983، ولقد كان نصها كالآتي:

عند قبولي في مهنة الطب:

- أتعهد علنا بتكريس حياتي لخدمة الإنسانية.
- سأقدم لأساتذتي الاحترام والاعتراف بالجميل الذي يستحقونهما وسأقوم بممارسة مهنتي بضمير وشرف.

1- UN.ORG: منظمة الأمم المتحدة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، باريس، 1948.

2- Gilbert hottois: qu est-ce que la bioéthique?, p 57.

3- إعلان جنيف: JOHEALTH.COM/STATIC/LAW/PAGE1.HTM اطلع عليه يوم: 2023/05/06، AM10:46.

- وستكون صحة مرضاي أول اعتبار بالنسبة لي.
- وسأحترم الأسرار التي اؤتمن عليها حتى بعد موت المريض.
- وسأحافظ بكل الوسائل التي أملكها على شرف مهنة الطب وتقاليدها النبيلة.
- وسيكون زملائي إخوة لي وأخوات.
- ولن أسمح لأية اعتبارات تتعلق بالدين أو الجنسية أو العرق أو الأحزاب السياسية أو المكانة الاجتماعية أن تحول بين واجبي ومريضي، وسأحافظ على أقصى احترام لحياة الإنسان منذ بدايتها وحتى تحت التهديد ولن أستعمل معرفتي الطبية خلافا لقوانين الإنسانية أتعهد بها علنا وبحرية على شرفي[1].

5- إعلان طوكيو: خطوط توجيهية للأطباء بالتعذيب وغيره من ضروب المعاملة والعقوبة القاسية واللاإنسانية أو المهنية فيما يتعلق بالاحتجاز والسجن، اعتمدته الجمعية الطبية العالمية التاسعة والعشرون في العاصمة اليابانية طوكيو عام 1975[2].

6- المجلس الأوروبي: le conseil de l'Europe

يعتبر موجها لحقوق الإنسان ومدافعا عنها منذ عام 1947 حيث اهتم بحماية الحقوق الأساسية للمواطن وكرامته الإنسانية وقد أنشأ سنة 1986 لجنة دائمة، وفي سنة 1992 رسّم اللجنة المشرفة على البيوتيقا، وكانت المعاهدة حول حقوق الإنسان والبيوتيقا عام 1997 من أهم أعماله[3].

1- جون وليامز: كتاب الأخلاقيات الطبية، تر: محمد الصالح بن عمار، مر:عبد السلام بن عمار، جمعية الطب العالمية، تونس، 2005، ص11.

2- إعلان طوكيو: JOHEALTH.COM/STATIC/LAW/PAGE1.HTM اطلع عليه يوم: 2023/02/25، 10:47 AM

3- Gilbert hottois: ibid, p-15.

7- إعلان هلسنكي: Déclaration d´helsinki

والذي تضمن مجموعة من المبادئ الأخلاقية الهادفة إلى توفير توصيات تقود الأطباء والأبحاث في الطب البيولوجي، وقد تمت مراجعة هذا الإعلان عدة مرات؛ في طوكيو 1975، البندقية 1973، هونغ كونغ 1999، سومارت الغربية 1996، إدنبورغ 2000، واشنطن 2002، طوكيو 2004[1].

8- اتفاقية أسيلومار : Assilomar

كانت عام 1975، تضمنت نقاش حول المخاطر البيولوجية الناجمة عن التجارب المتعلقة بدراسة الفيروسات المسرطنة وصياغة توجيهات تتعلق بشروط إجراء الاختبارات خاصة تلك التي تمارس في مخابر الهندسة الوراثية وكوارثها الناجمة من التطبيق وخطورتها الأخلاقية، فانتقلت الإشكالية من جديد من البيوتيقا إلى البيو تطبيق[2].

9- اللجنة الاستشارية الوطنية للإتيقا وعلوم الحياة والصحة: Comite consultatif national d'éthique pour les sciences de la vie et de la santé

مهامها تقديم وجهات نظر حول المشاكل الأخلاقية، وفي أسئلة المجتمع المطروحة نتيجة للتقدم العلمي في مجالات البيولوجيا والطب والصحة، كالقرارات التي تخص التجارب التي تجرى على الأجنة البشرية، وكذلك مسألة الموت الرحيم وغيرها من المواضيع[3].

إلى جانب ذلك تأسست عدة لجان عامية نذكر منها:

1- إعلان هلسنكي: www.wekipedi.ORG اطلع عليه يوم 2023/02/14 ، 22:25.

2- أخلاقيات العلم المعاصر3، من نظرية البيوتيقا إلى مشكلة البيوتطبيق، Cte.univ-setif2.dz اطلع عليه يوم: 2023/02/25، AM11:16.

3- مجموعة من المؤلفين: فقه الطبيب، ندوات حوارية- تفاعلية، مقال ل: بيير كوبر، علم الأخلاق الحيوي، أسسه وقيمه ومرجعيته، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، 2010، ص195.

*- الجينوم البشري Human genome:هو كامل المادة الوراثية المكونة من الحمض الريبي منقوص الأكسجين(DNA)، يحتوي الجينوم البشري على ما بين 20 و25ألف جين(مورثة) موجودة ومرتبة على هيئة 23 زوج من الكروموزومات (الصبغيات) في نواة الخلية.

1- اللجنة الدولية للبيوتيقا (internationale comite de bioéthique) أسستها منظمة اليونسكو (UNESCO) سنة 1993، اهتمت بإعداد وثيقة دولية تحمي الجينوم البشري* وحقوق الإنسان الذي اعتمدته المجموعة الأوربية للإتيقا والعلوم والتكنولوجيا الجديدة .

2- الأمم المتحدة رسميا.

3- منظمة الصحة العالمية (OMS) .

4- اللجنة المشرفة على البيوتيقا (Comite directeur pour la bioéthique)

ج- دور الفلاسفة في نشأة البيوتيقا:

1- هانس جوناس Hans jonas(1903-1993): واحد من أبرز الدعاة إلى الموازنة بين حاجات الإنسان والبيئة؛ لهذا يعد فيلسوف الفكر البيئي الألماني، وتلميذ هيدجير متهما بزعزعة القيم الديمقراطية باقتراحه "حلولا سلطوية تحد من الحريات الفردية حينما تشكل هذه الأخيرة خطرا على استمرار البشرية، إنه فيلسوف مزعج؛ لكنه شديد الواقعية. فهذه الدعوة تدخل في خيار البعد الاستثنائي الذي يدّعيه الإنسان على الطبيعة التي كانت جزء من القراءة الحداثوية وفهمها الليبيرالي وخطابها الأداتي الذي خلق المحن من هنا جاء مشروعه يحاول أن يقدم علاجا وهو جزء من عملية مراجعة و نقد كبيرة لقيم الحداثة، إلا أن لهذا الفيلسوف قراءة مهمة في هذا المجال أي البيوتيقا[1].

تشير سمية بيدوح في بحثها "هانس جوناس والمشكلة الإيكولوجية أو الإيكولوجيا الجوناسية" إلى أن المسار لديه عرف تطورا مكن من اكتشاف ثلاث مراحل هي: الغنوصية، الأسئلة الأنطولوجية والبيولوجية، ومشاكل الإتيقية[2]، ولقد أصبحت لجوناس شخصية نقدية للفكر الأخلاقي الشائع خاصة في تلك المجتمعات التي لا تحترم حقوق الإنسان، ليشير أن مثل هكذا مجتمعات محكوم عليها بالتدمير الذاتي ما دامت قائمة على هذا النمط اللاعقلي(حسبه)، ويؤكد في هذا السياق أن الأجيال القادمة ستكرهنا حتما لأننا قمنا بتدمير المحيط الحيوي، ويرى "بول ريكور"(1913-2005) بأن الفلسفة البيئة لهانس جوناس مكسبا قيميا كبيرا، حيث حاول إبراز مقاصدها الفلسفية والعملية وتداعياتها على مستوى

1- حسن المصدق: البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، ص64.

2- عامر عبد زيد: الحوار البيوطيقي عند هانس جوناس، مقال: مجلة الحوار، الرابط: m.ahewar.org، اطلع عليه يوم: 2023/03/20، 17:21.

إدراك الأبعاد الكونية آنيا ومستقبليا، ويعتقد جوناس أن مستقبل البشرية ليس مضمونا بطبيعته، لذا من الواجب أن يكون هدفا وغاية ينبغي العمل على تحقيقها من أجل أن تستمر البشرية، ولقد كانت الفلسفة البيولوجية لدى جوناس بمثابة المفتاح الرئيس لتحقيق ذلك أو بالأحرى بوابة الفكر الجوناسي ككل، ف"فلسفة الحياة" عنده هي في حقيقة الأمر"بيولوجيا الحياة" والتي لا علاقة لها بالرومانسية (مثل ما ذهب إليه كل من نيتشه أو هوسرل وحتى هيدجير)؛ وبناء فلسفة الحياة ينطلق "جوناس" من اهتمامات البيولوجيين، كما اهتم فيلسوفنا هذا بالمسؤولية؛ أي ضرورة تحمل الإنسان لمسؤولياته اتجاه ذاته واتجاه الإنسانية قاطبة في ظل التقدم التكنولوجي القائم، إذ يقول في هذا الصدد:(إن مسؤولية الإنسان يجب أن تسير بذات خطى قدرته)، وبهذا تقوم المسؤولية –في نظر هانس جوناس– على ركيزتين أساسيتين أولهما أنطولوجي والثاني ظرفي؛ فالأول غايته حفظ البقاء، أما الثاني فمرتبط بمختلف الظروف الطبيعية وما تقدمه من فرص للعمل واستغلاله استغلالا سليما ومتزنا، ومن هنا فإن مشروع البقاء مشروعا أخلاقيا صرفا طرفاه الرئيسيين؛ الإنسان والطبيعة، بين ما يمتلكه هذا الكائن من قدرات خلاقة، وما توفره الطبيعة بدورها من فرص ممكنة لتحقيق طموحه في العيش الكريم وفي استمرار نسله بشكل متزن، وهذا ما يحتم عليه تحمل مسؤوليته في الحفاظ على قيم هذه العلاقة وشروط اتزانها آنيا ومستقبلا، والتي تعد في حقيقة الأمر احتراما لإنسانية إنسان المستقبل القادم[1].

أما في مجال البيوإتيقا فيرى أنه من المسموح به التدخل الطبي والبيولوجي الهادف إلى معالجة الأمراض وليس أكثر من ذلك؛ أي رفضه لتلك الأبحاث الهادفة للتعمق في أغوار البيولوجيا وخاصة تلك المرتبطة بالجسد البشري والتي تنتهك فيها القيم الإنسانية مثل تجارب الهندسة الوراثية، الاستنساخ،...الخ والزاعمة إلى تحسين النسل والاستنساخ، ويأتي هذا الرفض بسبب أن هذه التجارب تهدد ماهية الإنسان من خلال جسده المقدس.

إن الفكر البيوتيقي الذي نادى به هانس جوناس يتسم بالشمولية من ربطه بأخلاقيات البيئة من جهة، والمسؤولية البيوتيقية من جهة ثانية، كما حاول أيضا تأطير الأبحاث الطبية والبيولوجية.

1– سمية بيدوح: فلسفة الجسد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1،2007، ص ص(106–107).

2 – فيليب زاريفيان Philip Zarivian(1947 –): ومعه تأتي إضافة جديدة معززة ما سبق إذ يبدو جليا أن البيوتيقا الجديدة أكثر سعة وعمقا في كتابات هؤلاء الفلاسفة وهم يعيدون تقييم البيوتيقا القديمة؛ فهذا يظهر لدى "فيليب زاريفيان" الذي يقيم تمييزا بين الأخلاق والإتيقا ETHIQUE معتمدا بالأساس على ما طرحه الفيلسوف "بول ريكور" ويخلص زاريفيان إلى أن الإتيقا أرقى وأسبق من احترام الأخلاق، وذلك أن الأخلاق ذات طابع "مصطنع" لأنها بناء اجتماعي في سياق مجتمع محدد وهي تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد وبين هذا الأخير والخارج.

– بيد أن الطبيعة –حسب زاريفيان– لا تحتل أي مكان في تعريف الأخلاق (morale)، إن الأخلاق تنظم السلوك البشري داخل مجتمع وتبلغ مداها حينما يتم استبطانها داخليا من طرف الأفراد، وهي خطوة في اتجاه الإتيقا باعتبارها التزام فردي عميق يتجاوز مجرد الالتزام بما تعاقد عليه المجتمع، في هذا المستوى يندرج الأمر الكانطي الذي يبقى مع ذلك أقرب إلى مجال الأخلاق أكثر منه إلى مجال الإتيقا.

– ويخلص زاريفيان إلى أن فلسفة الأخلاق تروم في نهاية المطاف تحقيق النظام والأمن، بينما الإتيقا "هي مجموع مبادئ الحياة" وبخلاف الأخلاق فإن الإتيقا تحمل بداخلها تصورا لعلاقة الإنسان بالطبيعة ابتداء من العلاقة بالجسد الذي هو جزء من الطبيعة، ويفترض في الإتيقا – حسب فيليب زاريفيان – أن تتمثل الحياة والعيش كمفهوم فيزيائي لا كمفهوم اجتماعي[1].

3– فرانسوا داغونياي* François Dagognet(1924–2015): والذي يعتبر مهموم بالقضايا المعاصرة، لذا يرى أن هناك نوعين من الفلسفة؛ فلسفة عالمة مرتبطة بمؤلف ما ومبحرة فيه، وهي عندي شبه ميتة، وفلسفة تريد أن تأخذ بعين الاعتبار كل ما يجري في عالمنا الحالي، فيقول:(فما يهمني أنا هو القضايا الراهنة. فالثورات التي تطال علم الحياة والقانون والفن والإنتاج هي من الأهمية بحيث يجب على الفيلسوف أن يستكشفها وأن يفكر فيها، وإلا فعليه أن يستقيل)، لا يعتقد "ف– داغونياي" أن بوسع التفكير الفلسفي أن يهمل التفكير الأخلاقي والسياسي. وباعتباره فيلسوفا ملتزما، فهو متمسك

1– حسن المصدق: البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، مرجع سابق، ص69.

*– فيلسوف وطبيب فرنسي متخصص بالبيوتيقا، كان تلميذا وصديقا لمؤرخ العلوم جورج كونغيلام، وقد كان لقاؤه به حاسما. بدافع منه باشر بعد نيله شهادة التبريز في الفلسفة دراسات طويلة في الطب وطب الأمراض العصبية، دون أن يتوقف على الرغم من ذلك عن التدريس.

بمكانة الدولة التي هي فقط بإمكانها أن تحمي المصلحة العامة والمدينة من جميع الانحرافات. وهو يرى أنها ستخل بواجبها إذا لم تضع حد للتفاوت الذي لا يطاق. يدافع "**ف. داغونياي**" عن بيوتيقا متحررة من الأحكام المسبقة التكنوفوبية. من الصعب المسك بأعمال "ف.داغونياي" متعددة الأشكال وغير المألوفة، والتي تتخذ من البيولوجيا والجغرافيا والكيمياء والحقوق والدولة والفن والأخلاق – في آن– موضوعا لها. قد يقول البعض إن هذا غير جدي لكن "ف.داغونياي" على العكس من ذلك يطالب بالحق في معانقة الواقع، كل الواقع:(أنا لا أرى الفيلسوف مثل منجّميّ يجب عليه الحفر في الأرض، بل مثل مسافر ينشغل بالمشهد الطبيعي في كليته). بمعنى توزيع الأفاق عوضا عن التنقيب ويشهد عمله على فضوله النهم وعلى إعجابه المفرط –المتجدد دوما– بالواقع في كل أشكاله[1].

على نقيض تقليد فلسفي عنيد منذ "**أفلاطون**" يعظم ما هو روحي، يبدي "ف.داغونياي" اهتماما خاصا بما هو مادي: بالأشياء والمواد والمباني والأجساد... وهو يُعَرِّفْ نفسه بأنه "عالم مواد" ليتجنب عبارة "مادي" التي يعتبرها اختزالية ودوغماتية جدا عمليا، حسب رأيه، لابد من تجاوز ثنائية "الروح والمادة": (أنا توحيدي بما أني أقول إن الروح هي في الأشياء وإن الأشياء تعبر عن الروح). يكفي النظر في البنى الذرية لرؤية الغنى المدهش للواقع وتعقيده. بطبيعة الحال، يثير هذا الموقف كثير من الجدل:(العدو عندي هو الذاتية، لا يجب الاستكانة إلى الوعي، إلى الأنا).

يتحمس "ف.داغونياي" للأخلاق، خصوصا في القضايا التي ما ينفك يطرحها تقدم البيولوجيا والطب. ولكن الأخلاق لا تمثل عنده موضوعا سماويا يحدد ببساطة مبادئ كونية كبرى. من المؤكد أنه عليها أن تضع مبادئ، ولكن ليس لأنها تهتم ب"**ما يجب أن يكون**" يكون بإمكانها أن تعترض على "**ما هو كائن**": (لا توجد الأخلاق حيث يعينها البعض؛ أي في تعالي الأفكار أو في حقل التفكير المحض. الأخلاق تعمل بلا هوادة: ولن تغادر إذن أرض الواقع الذي يجدر بها أن تسجل نفسها فيه). لهذا السبب يفضل "ف– داجونياي" التمادي في الدخول في التفاصيل، وفي دراسة حالات فاصلة على تشييد مذهب أخلاقي مجرد جدا. وتعلقت أعماله الأولى بطبيعة الحال بتاريخ العلوم:(كنت دائما مصدوما بأن المدرسين، وبعضهم متميزون، كانوا يهتمون بالنتائج أكثر من اهتمامهم بالطريقة التي تحصلوا عليها

1– حسن المصدق: المرجع نفسه، ص ص71– 72.

بها، وكان يبدو إلي أن الأهم بالنسبة إلى الفيلسوف هو أن يتوقف عند الاستراتيجيات)[1]، وله أراء صادمة في مجال البيوتيقا[2].

4- دانيـــــال كالاهـــــان[3] (1930-2019): لقد جاءت أفكار كالاهان هي الأخرى تصب في صالح الخطاب البيوإتيقي، وتعد علامة مهمة في تطور الأخلاق البيوإتيقية في جدلها بين الخطابين الديني والأخلاقي؛ فجاءت معالجته تقوم على إضفاء الطابع العلماني على البيوتيقا، و فصلها بالتالي عن الأخلاق و الطبيعة الكلاسيكية التي كانت غارقة في اللاهوت المسيحي. فكلاهان هو الذي أسس مركز "**هاستينغز**" الذي اهتم بنشر الفكر البيوإتيقي والتعريف به، وكان من أهم إنجازاته تأسيس المجلة الناطقة باسم البيوإتيقا والمشاركة في تأليف موسوعة البيوإتيقا. وهو مؤلف أو محرر واحد وأربعون كتابا، اهتم بأثر التكنولوجيا الطبية وتدمير نظام الرعاية الصحية. وعلى مر السنين قد غطت أبحاثه مجموعة واسعة من القضايا، من البداية حتى نهاية الحياة، وفي السنوات الأخيرة ركز اهتمامه على الأخلاق والسياسة الصحية[4].

1- الحوار منشور في مجلة العلوم الإنسانية الإلكترونية Science Humains.COM ضمن ملف بعنوان "الرهانات الكبرى للبيوتيقا" الرابط: https://www.facebook.com/note.php?note_id=180495569870

2- تأييده: 1- الإجهاض بقوله: أنا إذن مع الإجهاض. ليس الإجهاض السهل والمريح. ما يهم هو مدى إرادة استقبال المولود. إذا لم يقبل الوالدان بالمولود فإن هذا الأخير سيكون تعيسا. الولادة لم تعد قدرا.لكن القانون هو من يتولى ضبط تاريخ الموت وأيضا التاريخ الذي يأتي فيه مولودا جديدا. 2- إرجاع كل شيء إلى الإرادة الفردية: حسب رأيي يجب قبل كل شيء تقدير الإرادة الفردية. إن المنع الاصطناعي للحمل يمثل تقدما: فالولادة لم تعد قدرا، إنها تعبر عن إرادة. توجد وضعيات طبية عديدة يكون من الأفضل فيها حسب رأيي تقدير الإرادة على احترام الطبيعة.3-تقييمه اللجان التي يوكل إليها إصدار المعالجات الأخلاقية و القانونية: تجمع لجان الإتيقا اختصاصيين و مندوبين عن العائلات الروحية الكبرى ولا يتوصلون إلا إلى توافق غيابي. فبفعل التضارب بينهم، لا يتفقون إلا على قرارات ضعيفة ولا يقدمون إلا أجوبة دنيا. في أغلب الأحيان، يكتفون بتأجيل القضايا عوضا عن حلها. لا سيما و أن لديهم معيارا أعارضه هو المعيار البيولوجي، و أنهم يرجعون في كثير من الأحيان إلى"طبيعة ثابتة" للإنسان.

3- دانيال كالاهان: هو باحث كبير والرئيس الفخري لمركز هاستينغز، بحث أخلاقيات علم الأحياء المؤسسة التي تم تأسيسه مع ويلارد غايلين Willard Gaylin في عام 1969. خدم كرئيس كالاهان المركز منذ نشأته إلى 1سبتمبر 1996. وحاليا هو أحد مديري بيل برنامج هاستينغز في الأخلاق والسياسة الصحية. الدكتور كالاهان هو عضو منتخب في نعهد الطب، الأكاديمية الوطنية للعوم، وهو عضو سابق في اللجنة الاستشارية المدير، ومركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها، ومن وثائق مجلس الشورى، مكتب المسؤولية العلمية، وزارة الصحة والخدمات الإنسانية. وقيل إنه حصل على جائزة الحرية والمسؤولية العلمية للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم في عام 1996الموسوعة الحرة.

4- حسن المصدق: البيوتيقا والمهمة الفلسفية، مرجع سابق، ص ص68-69.

المبحث الثاني: مجـــالات البيـــــوتيـــــقا

أ – أخلاقيات العيادة:

يبرز الباحث الأمريكي "دافيد روي" أن بعض النقاشات البيوتيقية الأولى كانت تدور حول القضايا التي يصعب اتخاذ القرار بشأنها مثل: الأطفال حديثي الولادة، المصابين بتشوهات خطيرة، والإبقاء على الوسائل الداعمة للحياة بالنسبة للذين يوجدون في حالة غيبوبة مستمرة، وإنعاش المرضى الذين وصلوا إلى مراحل متقدمة من المرض ويصعب التكهن بمآلهم.

فهل يجب إنقاذ كل الأطفال المعاقين؟ والإبقاء على قيد الحياة كل أولئك المرضى؟[1].

إن الممارسة الطبية والممارسات الموازية لها تكشف عن حالات أخرى في العيادات الطبية يصعب أن يتخذ القرار بشأنها: فهل بإمكان أحد أعضاء طائفة شهود بهوه أن يرفض علاجا قد ينقذ حياته؟ وكيف يمكن أن تحفظ الممرضة سر مريض مصاب بداء السيدا. وهل يمكن أن يتقيد مريض مزعج؟

وعلى العموم هل يمكن أن نبوح للمريض أو لعائلته بحقيقة مرضه؟ وما هو الموقف العام الذي يلزم اتخاذه اتجاه المرضى؟

تتعلق الأخلاقيات العيادية إذن، بالتصرفات الملائمة أخلاقيا التي يجب القيام بها بجانب سرير المريض وأهمها: المواقف التي يلزم اتخاذها والمعلومات التي يمكن الإدلاء بها والحوار الذي يجب إجراؤه والخلافات التي ينبغي حلها والقرار الذي يجب اتخاذه. ويحددها "دافيد روي" بهذا الشكل:(ترتبط الأخلاقيات العيادية بكل ما يواجه الأطباء والفرق الطبية من قرارات وشكوك واختلافات قيمية ومعضلات، وذلك سواء أمام أَسِرَّة المرضى أو داخل غرفة العمليات أو في مكتب الاستشارة الطبية أو في العيادة أو حتى في منزل المريض)[2].

هكذا تخص أخلاقيات العيادة ثلاث أطراف رئيسية:(**المريض، الطبيب والمجتمع**)، إنها تتمحور أولا حول المريض فتهتم طبعا بوضعيته الصحية وآلامه، ولكن أيضا بتاريخه الشخصي ووضعه العائلي ورغباته الشخصية.

---

1 عمر بوفتاس: الأخلاقيات الجديدة في مواجهة التجاوزات البيوتكنواوجيا، مرجع سابق، ص 28.

2– المرجع نفسه: ص28.

إن المريض هنا هو مركز التفكير والتدخل، ويتسع مجال الأخلاقيات العيادية كي يهتم أيضا بمعاناة المعالجين وأشكال انزعاج مؤسسات العلاج من حالات يصعب تحملها.

ومن جهة أخرى تأخذ تلك الأخلاقيات بعين الاعتبار المبادئ والقيم المتنازع حولها لا لفرضها ولكن لأجل تسليط الأضواء على الحالة المعنية، ويتطلب ذلك من المتدخلين أن تكون قيمهم الشخصية واضحة، وأن يكونوا على دراية بقيم المؤسسة التي يشتغلون داخلها وقيم المجتمع والمحيط[1].

إن العلاقة بين الطبيب والمريض تمثل علاقة إنسانية بين طرفين؛ حيث توجد حقوق وواجبات لكل طرف يلتزم بها، من أجل الوصول إلى نتيجة ترضي كلاهما، لأن مهنة الطب مهنة شريفة، ومقدسة تبنى على أسس أخلاقية يتحلى بها الأطباء، كذلك يتحلى المرضى بمجموعة مختلفة من السلوكات الأخلاقية والاجتماعية والتي تكون أساس لقوام هذه العلاقة[2].

علاقة الطبيب بالمريض هي علاقة فريدة من نوعها يسودها جو أخلاقي وأمان من شأنها التمكين من إحالة المعلومات العلمية أو اتخاذ وسائل المعالجة. فالطبيب: هو الشخص الذي نتصل به لمساعدتنا في أهم احتياجاتنا لمعالجة أوجاعنا وآلامنا حتى نسترجع صحتنا، ولأجل ذلك يسمح للطبيب بالوصول إلى مختلف أعضاء بدننا بما فيها العورة وذلك اعتقادا منا أن الطبيب يقوم بذلك لفائدة المريض ومصلحته[3].

ومن خاصية علاقة الطبيب بالمريض:

أ- **الالتزام الطبي:** يعتبر الطبيب مسؤولا عن مريضه ما إن يبدأ العلاج له حتى وإن وجد أطباء آخرون بنفس الكفاءة في مجتمعه المحلي.

ب- **احترام الذات للمريض:** إن احترام الذات متعلق بالمبدأ الشرعي؛ النية أو القصد. وعلى جميع العاملين في الحقل الطبي أن يوجهوا جل اهتماماتهم وقصدهم لمصلحة المريض، وهذا الأخير وحده

1- عواشرية حياة: المرجع السابق، ص29.

2- محمد الحاج علي: سلوك الطبيب أخلاقيات المهنة الطبية، ط1، دار الفضائل، الإمارات العربية، 1999م، ص12.

3- جون وليامز:كتاب الأخلاقيات الطبية، تر: محمد الصالح بن عمار، مر:عبد السلام بن عمار، جمعية الطب العالمية، تونس، 2005، ص ص(6-10).

يملك قرار نفسه بينما الآخرون لا يملكون حق تقرير مصيره خوفا من التأثر بالاعتبارات الشخصية في اتخاذ القرار.

ج- الحقيقة وكشف السر الطبي: من أدب المهنة أن يصارح الطبيب مريضه بكامل الحقيقة؛ فللمريض الحق في معرفة الفوائد والمخاطر التي قد تنجم عن العمل الطبي، كما على الطبيب أن يناقش مريضه بصراحة وأن يوضح له خلفيات الأمور وتوابعها...الخ.

وعليه التنبه إلى المرضى الذين قد تؤثر المعلومات الزائدة أو الصراحة الكاملة في قراراتهم الشخصية بحق أنفسهم فيصبحون في حيرة وقلق.

د- الخصوصية والسرية: إن إفشاء سر المريض يعتبر انتهاكا للأمانة والثقة لتزعزع الرابطة وضعفها بين الطبيب والمريض، كما أنه يؤذي المريض (قاعدة الضرر) ولا يمكن إفشاء السر إلا في حالات ملحة فقط (الضرورات). ويجب على الطبيب أن يحفظ سر مريضه، وعلى المريض ألا يبوح بعيوب نفسه.

و القرآن الكريم حرم ما هو فاضح أو مخجل إلا إن كان فيه رفعا للظلم، فعندئذ لا يستطيع الطبيب الإدلاء بتصريحات خاطئة كما يحدث في الدعاوي القضائية والشهادة في حالة الجرائم التي فيها ظلم.

هـ- الإخلاص: هذا المبدأ يتطلب من الأطباء الوفاء والإخلاص مع المرضى وهذا يشمل الوفاء في العمل والوفاء على ما جرى الاتفاق عليه والوفاء على الرابطة والثقة والأمانة؛ فإذا ما تخلى المريض عن العلاج في أي مرحلة من مراحله دون علم الطبيب فإن ذلك يعتبر خيانة وانتهاكا للثقة[1].

كما أن من حق المريض على الطبيب أن يستمع إلى كل شكاويه وأن يجيب عن كل استفساراته وكذا يشرح له طبيعة مرضه وعن أي إجراء تشخيصي وعلاجي سيقوم به.

بالإضافة يجب على الطبيب القيام بمختلف التفسيرات المتعلقة بالمريض وما يعاني منه ويشعر به ويبين له طرق الوقاية والعلاج. مما يتطلب من الطبيب بذل كل ما في وسعه من أجل تخفيف الألم عنه. ومعتمدا على كل الطرق الممكنة لأنه واجبه يفرض عليه بذل ما وسعه لعلاج المريض، أما شفاؤه

1- محمد عيد شبير: الأخلاقيات الطبية، الأخلاقيات المتعلقة بمهنة التحاليل الطبية، (د.د.ن)،(د.ط)،(د.س.ن)، ص ص(14-15).

يخرج عن نطاق إمكانياته لأن الشفاء بيد الله عز وجل و هذا الالتزام حسب ما جاء في آداب مهنة الطب في المادة 14[1].

– و في الأخير أستنتج: أن أخلاقيات العيادة ترتبط بالتصرفات الأخلاقية التي يجب أن يقوم بها الأطباء والفرق الطبية، بجانب سرير المريض، كالمواقف والقرارات التي يجب عليهم اتخاذها والمعلومات التي يمكن الإدلاء بها...الخ. فالعيادة تهتم بالوضعية الصحية وما يعانيه من ألام، واحترام رغباته الشخصية وكذلك واجب الأطباء أن يكونوا على دراية تامة بقيم المؤسسة التي يشتغلون بداخلها واستعانتهم عند الاقتضاء بالمبادئ الإرشادية التي تسنها اللجان الأخلاقية التابعة لأخلاقيات العيادة.

ب – أخلاقيات البحث العلمي (Research Ethics):

المراد بها التفكير الأخلاقي في الأبحاث والتجارب العلمية التي تتخذ من الإنسان موضوعا لها ، كما تطرح تساؤلات حول ضرورة حماية الأشخاص، وضرورة تطوير المعارف والبحوث العلمية، وفي ظل أية شروط يمكن قبول إجراء التجارب على الإنسان، وعلى أساس ذلك ظهرت لجان أخلاقيات البحث العلمي ومؤسسات تمارس نوعا من المراقبة للأبحاث العلمية وتقوم بتأطير التجارب على البشر، كما اهتمت هيئات دولية متعددة بمثل هذه المواضيع وأصدرت مبادئ توجيهية وقواعد تنظيم البحث العلمي خاصة المتعلقة بالتجارب على الإنسان[2].

وتقتضي أخلاقيات البحث العلمي احترام حقوق الآخرين وآرائهم وكرامتهم، سواء أكانوا من الزملاء الباحثين، أو من المستهدفين في البحث وتتبني مبادئ أخلاقيات البحث العلمي عامة قيمتي "**العمل الإيجابي**"، و"**تجنب الضرر**" وهاتان القيمتان يجب أن تكونا ركيزتي الاعتبارات الأخلاقية خلال عملية البحث، وهناك بعض الاعتبارات بالنسبة للسلوك الأخلاقي تتضمن الآتي:

- المصداقية: Truth fullness
- الخبرة : Experience

1– محمد حسين منصور: المسؤولية الطبية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، (د.ط)، (د.س.ن)، ص124.

2– مقداد كهينة: البيوتيقا والبحث البيوطبي، مذكرة لنيل الماجيستير في الفلسفة، إشراف زرداوي فتيحة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر2، 2011م، ص ص(69–70).

- السلامة : Sqfety
- الثقة: Trust
- الموافقة ConsenT
- التسجيل الرقمي: DIGITAL RECORDING:
- الانسحاب: WITHDRAWL:
- مراعاة مشاعر الآخرين: Vulnerability
- سرية المعلومات:Anonymity
- استقلال المواقف: Expliotation
- التغذية الراجعة: Feedback

وترجع «أخلاقيات البحث العلمي، إلى مرحلة متقدمة من التاريخ، فقد انفصلت تدريجيا عن أخلاقيات الطب الكلاسيكية ويتأكد ذلك من مراجعة ما أكده الطبيب الفرنسي "**كلود بيرنارد**" **Claude Bernard(1813-1878)** في القرن التاسع عشر 19، بشأن أخلاقيات الباحث التي هي أخلاقيات قلما يفهمها عامة الناس.

ورغم ذلك فهي مفروضة على الباحث بكل برودة قد تجعله عرضة للعزلة ومع ذلك تبلورت تدريجيا ابتداء من محاكمات نورنبرغ وخاصة بعد إعلان هلسنكي سنة 1964 أدبيات غزيرة حول هذا الموضوع، وظهرت مؤسسات تمارس نوعا من المراقبة الديمقراطية للأبحاث العلمية، وتدور هذه الأدبيات إما حول قضايا أساسية مثل مشروعية الأبحاث والتجارب على البشر أو حول المرجعيات والمبادئ التي ينبغي احترامها. وأجد ضمن هذه المؤسسات وكالات حكومية تمارس نوعا من المراقبة والمؤسسات الأكثر نموذجية في هذا الإطار هي: لجان أخلاقيات البحث العلمي التي تصادق أخلاقيا برتوكولات البحث المتعلقة بالتجارب على البشر.

وسواء أكانت مجرد واجبات تتعلق بمهنة الطب أم أنها تتجاوز ذلك لتأسيس فكر أخلاقي نظري فعلي، فإن أخلاقيات البحث العلمي تلتقي مع أخلاقيات العيادة على مستوى المصادر[1].

وأخلاقيات البحث العلمي تهتم ليس بالتنظير بل بمسائل ملموسة حيث تساءل عن شروط قبول التجارب العلمية من الناحية الأخلاقية. وإن أي حد تحترم في ذلك الاتفاقيات والمرجعيات المتفق عليها. وهل من المقبول إجراء التجارب على الإنسان وما هي حدود ذلك؟. لقد ساهمت أعمال كلود بيرنارد في ازدهار علوم الطب وتطور الرؤية الطبية التي انفتحت على الداخل المتخفي لجسم الإنسان وبالتالي بلورت مفهوم جديد للإنسان وذلك ضمن منطلقات عملية صارمة، أي موضوع مفرغ من كل قداسة لأي ظاهرة أخرى. وعليه فقد أصبح الإنسان موضوعا قابلا للتقصي والقياس والاستكشاف العلمي وطرح جسمه على طاولة التشريح. ومع بداية النصف الثاني من القرن "التاسع عشر" اتسعت رقعة الطموح العلمي وتحولت عدة مشاريع علمية إلى تطبيقات جريئة وجديدة يمكن اعتبارها مشاريع ثورية أو بمثابة ثورة علمية[2].

ج – أخلاقيات السياسة الصحية:

كثير من القضايا والمشاكل الخاصة التي تنبثق من الممارسة داخل المختبرات العلمية أو إلى جانب المرضى في العيادات الطبية تتجاوز سياقها الخاص كي تؤثر في مجموعة المؤسسات والجهاز الصحي والحكومة والمجتمع ككل في آخر المطاف. ذالك هو شأن "الإجهاض والموت الرحيم" على سبيل المثال.

ويصدق الأمر أيضا على قضايا أخرى كتقنيات الإنجاب الحديثة والفحوص الوراثية والعلاج الوراثي، إضافة إلى سياسات الصحة العمومية وتخصيص الموارد وتتخذ معالجة هذه المواضيع طابعا استعجاليا في الوقت الذي تعاني فيه الدول المتقدمة من ندرة الموارد إذ لم يعد بالإمكان الاستجابة لكل المطالب ولا توفير كل الحاجات، مما يفرض إيجاد الحلول المستعجلة واختيار من سيحضون بسبق الاستفادة مما أتاحته بعض الاكتشافات العلمية للباحثين من قدرات جديدة يتحكمون بواسطتها في الأفراد وفي مستقبل البشرية. تتعلق السياسة الصحية بمجموع الخطط التي تضعها السلطات وتوجهها لمجموع السكان دون

1- عمر بوفتاس: البيوتيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، ص ص(31-32).
2- عواشرية حياة: البيوتيقا ومستقبل الإنسان، فرانسيس فوكوياما نموذجا، ص ص(42-43).

تمييز، أو مجموع القضايا المتعلقة بالصحة والتي تهم عامة الناس ويمكن أن نميز في إطارها بين ثلاث مستويات أساسية:

1-الصحة العمومية: أي مجموع التصرفات التي تقوم بها السلطات العمومية بهدف توفير الشروط المناسبة لصحة السكان. وتأخذ إستراتيجيتها ثلاث أبعاد ؛ **الوقاية، والحماية والتحسيس الصحي**[1].

و تعرف أيضا بأنها مجموع التدابير الوقائية والعلاجية و التربوية والاجتماعية التي تستهدف المحافظة على صحة الفرد والجماعة وتحسينها[2]. فالصحة العمومية: تعد وقاية الجمهور من أخطار الأوبئة و القضاء على أسباب الأمراض المعدية و مكافحتها وغير المعدية المتفشية عن المجتمع والحد من الأخطار التي تهدد صحتهم وصحة الحيوانات والنباتات من الأخطار الناشئة في حالة دخول وانتشار الأوبئة والأمراض أو الناتجة عن الملوثات أو الكائنات العضوية المسببة للأمراض، فإن الأخطار الناجمة عن بدأ ظهور مرض خطير وانتشار أخطار العدوى[3].

2- منظومة العلاج: المقصود بها المبادئ الموجهة والتنظيم الفعلي للعلاج الصحي في منطقة ما.

3- توزيع الموارد الصحية في منطقة أو بلد ما: ويتضمن اقتطاع الموارد وتخصيصها من طرف السلطات العمومية وولوج المواطنين لهذه الموارد[4].

بناء على ما سبق نستنتج أن أخلاقيات السياسة الصحية هي تفكير متعدد حول البعد الأخلاقي لكل القضايا التي تهم مجموع المواطنين والتساؤلات التي يطرحونها في إطار الصحة مثل: "حق المواطنين في معرفة التنظيمات التي تخص هذا المجال"، ومدى احترام حرية وكرامة الأفراد في حملات الإشهار للتدخين والسيدا على سبيل المثال، ومدى التزام مبادئ العدالة والمساواة في ولوج مراكز العلاج الصحي[5].

1- عمر بوفتاس: المرجع نفسه، ص32.

2- نور الدين حربوش: الإدارة الصحية وفق نظام الجودة الشاملة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص70.

3- عواشرية حياة: البيوتيقا ومستقبل الإنسان، ص44.

4- عمر بوفتاس: البيوتيقا، الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، ص ص(32-33).

5- المرجع نفسه: ص ص(44-45).

الفصل الثاني:

الإنسان بين الفلسفة والعلم

المبحث الأول: مفهوم الإنسان في الفلسفة.

يعتبر الإنسان أرقى الكائنات الحية نتيجة تفرده بطابع التعدد والتعقيد من جهة، ومن جهة أخرى باعتباره ذات عاقلة ومفكرة، هذا التفرد جعله محور الاهتمام والبحث من قبل العديد من الفلاسفة الذين أعلوا من شأنه ومنحوه مركزية الكون مشتغلين بكافة جوانبه القيميّة والأخلاقية خاصة في ظل الأبحاث العلمية التي قضت على التفرد والقدسية لنشهد بذلك عودة الصراع بين الفلسفة والعلم، الأولى التي تحاول ضبط المفهوم الإنساني والحفاظ على مختلف جوانبه، والثاني الذي يسعى إلى تحقيق تجاربه وتوقعاته دون أن يأبه لما سيثار من مشكلات في شتى الميادين، ولإزالة اللبس عن هذه القضية نحاول فيما يلي الإجابة عن الإشكالية التالية: فيم تتمثل الرؤية الفلسفية للإنسان؟ وما المفاهيم التي قدمتها التطورات العلمية للإنسان؟ وما هي أهم مظاهر هذا التحول في صورة الإنسان في ظل الأخلاقيات الجديدة؟

1- المفهوم العام للإنسان في الفلسفة

لقي الإنسان اهتماما كبيرا من قبل الفلسفة والفلاسفة بشكل عام باعتباره موضوعا خاص بها دون غيرها من الدراسات العلمية الأخرى.

أولا: مفهوم الإنسان:

أ- لغة:

- إن أصل كلمة إنسان يعود إلى النسيان، حيث يقول ابن منظور عن لبن العباس رضي الله عنهما أنه قال: (إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي)[1].

- اسم جنس لكائن حي مفكر قادر على الكلام المفصل والاستنباط و الاستدلال العقلي، يقع على الذكر والأنثى من بني آدم، و يطلق على المفرد والجمع، وجمعه أناسي وأناسية وآناس.

- وقد جاء في المعجم الوسيط؛ الإنسان الكائن الحي المفكر، جمعه أناسي، أصله أناسين.

- هو كائن حي له القدرة على التفكير ونطق الكلام، واستخدام العقل، ويمكن أن تطلق كلمة إنسان على مفرد أو جمع.

1- ابن منظور: لسان العرب، مجلد 1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1955، ص 147.

ب- اصطلاحا:

- جاء في الموسوعة العربية الشاملة : الإنسان هو واحد من الكائنات الحية التي تعيش على الكرة الأرضية، إلا أن الإنسان يعتبر هو الأفضل سواء في العقل أو في العاطفة ، وهناك العديد من المرادفات التي تطلق على كلمة إنسان مثل كلمة بشر، أو روح أو غيرها.

- الإنسان كائن عاقل: بحيث يعرف على أنه الكائن الحي الذي يمتاز بالعقل والتفكير.

- الإنسان كائن الأخلاق: الإنسان تطلق على الشخص الذي يمتاز بالأخلاق السامية.

- الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يمتلك العقل ما يساعده على القدرة على التفكير باستخدام آلة المنطق لوضع الحلول، وابتكار الأفكار لمواجهة المشاكل وبمختلف الطرق.

- الإنسان العاقل (الاسم العلمي: HOMO SAPIENS) هو النوع الوحيد المتبقي من جنس البشراني(الأناسي)، وهو العاقل الوحيد الذي يمتلك – خلافا لبقية الحيوانات على الأرض- دماغا عالي التطور، قادر على التفكير المجرد واستخدام اللغة والنطق والتفكير الداخلي الذاتي وإعطاء حلول للمشاكل التي يواجهها[1].

- الإنسان كائن اقتصادي: هو مصطلح مالي يستخدمه بعض الاقتصاديين لوصف كائن بشري عقلاني، والذي يتميز بالقدرة على اتخاذ القرارات العقلانية، ويسعى لتحقيق هدفه المحدد بشكل مثالي، إذ أن سلوكاته تتحدد بالعوامل الاقتصادية[2] وحدها بغض النظر عن النظر عن الثقافات والعادات والمعتقدات.

- إنسان صانع: هو الإنسان من حيث صانع ماديا ومعنويا، فيصنع الأشياء، كما يصنع جانبه النفسي، ويقابل الإنسان العاقل[3].

1- إنسان: www.wekipedi.ORG، اطلع عليه يوم: 2023/05/22، 12:46.
2- ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، مادة الإنسان، د ط، الهيئة العامة لمطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص25.
3- ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، مادة الإنسان، المرجع نفسه: ص 25.

بالرغم من تعدد مفاهيم الإنسان إلا أنها لا تخرج عن جوانبه وصفاته المميزة له، كالعقل، التفكير، اللغة، والتي ترفع الإنسان إلى مصاف أرقى عن بقية الكائنات الحية الأخرى، اما الصناعة والاقتصاد فهي جوانب من حياته تجعله يحيا حياة أفضل وتساعد على حل مشاكله سواء الاجتماعية أو الطبيعية.

ثانيا: الرؤية الفلسفية للإنسان:

اختلفت الرؤى الفلسفية للإنسان باختلاف العصور وكذا فلاسفة كل عصر.

أ- العصر اليوناني:

لقد كان للفكر الإغريقي اهتماما كبيرا بالإنسان، وكانت البداية من الفلسفة السوفسطائية؛ إذ أصبح الإنسان في مركز الواقع الوجودي و ليس مجرد كائن يدور في الفلك بلا حول ولا قوة، وبذلك تحول الاهتمام من البحث في الوجود والطبيعة إلى البحث في ماهية الإنسان ومشكلاته الإبستيمولوجية والأخلاقية والدينية، وهذا ما نجده في عبارة **بروتاغوراس(487- 420ق م)** الشهيرة التي قال فيها:**(إن الإنسان مقياس الأشياء جميعا)**[1].

وهو بذلك لا يبتعد كثيرا عن مواطنه **سقراط الأثيني**(469-399ق م)، الذي كان يردد دائما أن الإنسان مهما بحث في الطبيعة وحاول تفسيرها فلن يصل إلى معرفة أسرارها لأن من يملك ذلك فقط هو الإله الذي صنعها و، ولذلك كان يدعو الإنسان إلى أن يعرف نفسه أولا[2]، من خلال مقولته "**اعرف نفسك بنفسك**"، وهي عبارة تدعونا -بلا شك- إلى البحث في جوهر الإنسان.

والإنسان عند سقراط مكون من ثنائية "الجسد والروح"؛ فالأولى مادية فانية ومنبع للشهوات والغرائز، أما الثانية أي الروح أو بالأحرى النفس فهي تمثل ماهية أو جوهر الإنسان، و التي بإدراكها يتم إدراك الخير والفضيلة.

أما أفلاطون -فهو الآخر- لا يبتعد عن أستاذه سقراط فيما يخص القول بثنائية " الجسد والروح" المختلفان -حسبه- جوهريا، والأخيرة أسمى بطبيعة الحال من الجسد التي تبقى خالدة بعد فنائه.

1- مصطفى النشار: فلاسفة أيقظوا العالم، ط3، دار قباء، مصر، القاهرة، 1998، ص 69.
2- مصطفى النشار: فلاسفة أيقظوا العالم، المرجع نفسه: ص 84.

بينما أرسطو فقد عرّف الإنسان على أنه حيوان عاقل، وفي مناسبة أخرى حيوان ناطق، ولفظ إنسان يشمل كل إنسان (ذكر أو أنثى، سيد أو عبد)، ويتضح هذا أكثر من خلال تقسيم أفلاطون و من بعده أرسطو للمجتمع اليوناني إلى ثلاث طبقات (العبيد، الجنود، الفلاسفة والحكام)، وهذا التفاوت الطبقي بين الناس –حسب أرسطو– طبيعي (التفاوت قانون الطبيعة) ، وأي خرق لهذا القانون الطبيعي يعتبر إهدار للعدالة وللكرامة الإنسانية ككل، كما أن النفس تتألف من جانبين أو عنصرين: العنصر العقلي و العنصر اللاعقلي ،... ومن المفيد أن يحكم العنصر العقلي و يسيطر على الجانب اللاعقلي في النفس[1].

رغم اهتمام الفلسفة اليونانية بالإنسان و سعيها إلى الرفع من شأنه، إلا أن هذا الاهتمام لم يسلم من قيود الطبقية العنصرية والتمييز العرقي.

ب– العصور الوسطى:

لقد أخذ مفهوم الإنسان في العصور الوسطى قالبا دينيا بامتياز، ما جعله يختلف باختلاف الديانات، وفيما يلي مفهوم الإنسان في كل من المسيحية والإسلام.

ب– 1– الإنسان في المسيحية:

لقد حضي الإنسان بمكانة مرموقة في مبادئ الديانة المسيحية والتي جعلته أرقى وأسمى عن بقية المخلوقات، ذلك أن الإنسان(ANTHROPOS) مغمور في الله(Théos)[2]، ويمكن معرفة ذلك من خلال:

- **الإنسان على صورة الله كمثاله:** قد اقر العهد القديم أن الإنسان خلق على صورة الله كمثاله، بينما العهد الجديد فيرى أن الإنسان خلق على صورة الإبن[3].

إن النظرة المسيحية للإنسان تغمره حقا في الله من أَلِفِ حياته حتى يائِها، وفي أثنائها، بل وكل حياته الأرضية، وما يرشدنا إلى ذلك تصريح المجمع الفاتيكاني الثاني:(إن سر الإنسان لا يتضح حقا إلا في

1– إمام عبد الفتاح: أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص87.
2– بولس دحدح: الأنثروبولوجيا المسيحية على صورة الله كمثاله، دراسات لاهوتية، دار المشرق، لبنان، 2013، ص5.
3– بولس دحدح: الأنثروبولوجيا المسيحية على صورة الله كمثاله، دراسات لاهوتية، المرجع نفسه: ص5.

سر الكلمة المتجسد)، ذلك بأن آدم الإنسان الأول كان صورة الإنسان الآتي، أي صورة المسيح الرب(روم 1/14)[1].

ومن الصفات الإلهية التي أودعها الله في الإنسان " الحرية والاستقلالية"، وذلك حتى يوليه مسؤولية نفسه ومصيره البشري بموجب الحرية الممنوحة له، فقد قال القديس إيريناوس Saint Irenarus (130-210م):(أصبح الله إنسانا لكي يصبح الإنسان إلها، ...، تكيف الله بالوضع البشري لكي يتكيف الإنسان بالوضع الإلهي)[2].

- **خلق الإنسان بالتشاور:**

عندما خلق الله الإنسان تم نوع من التشاور في داخل الله (لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا) [تك 26/1) وبهذا يظهر التباين الكبير بين خلق الكون، والمكانة الرفيعة التي أولاها الله للإنسان في قصده الإلهي.

وثمة التفسير المسيحي الثالوثي؛ إن أقاليم الثالوث قد تشاوروا في شأن خلق الإنسان[3].

ويعتبر القديس أغسطين Saint Augustin (354- 430م) من أبرز أعلام هذه الديانة ، و الذي يرى أن الإنسان من طبيعة مكونة من جسد وروح ؛ أما الجسد فينتمي إلى مدينة الأرض التي يحكمها الشيطان، بينما الروح فتعود إلى مدينة الله والتي يعزى وجودها إلى نشر القانون الإلهي في الأرض.

ب-2- الإنسان في الإسلام:

يحتل الإنسان في الإسلام مكانة قدسية مرموقة تعبر عن هويته الحقيقية، فهو مكفول الحرية، مصون النفس والمال والعرض،...، ولقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي عززت من قيمة وقدسية هذا المخلوق، إذ يقول الله تعالى:﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[4].

1- بولس دحدح: الأنثروبولوجيا المسيحية على صورة الله كمثاله، دراسات لاهوتية: المرجع نفسه ص6.
2- بولس دحدح: الأنثروبولوجيا المسيحية على صورة الله كمثاله، دراسات لاهوتية، المرجع نفسه: ص109.
3- بولس دحدح: الأنثروبولوجيا المسيحية على صورة الله كمثاله، دراسات لاهوتية، المرجع نفسه، ص25.
4- القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية 70.

إن الإسلام على عكس المسيحية لا يقر بالخطيئة الموروثة ولا يقر بالسقوط من طبيعة إلى ما دونها، كما لا يحاسب الإنسان بذنب غيره، ذلك أن قيمة الإنسان مرتبطة بالتكليف القائم على الحرية والتبعة، حيث يقول الله تعالى:﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾[1].

كما يظهر التكريم الإلهي للإنسان أيضا في حسن الخَلْقْ لقوله تعالى:﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾[2]، ولكن هذا ليس ثابتا فقد يهبط إلى أسفل المراتب لقوله تعالى:﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾[3].

والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن كل منا هو: كيف كرم الإسلام الإنسان وما هي مظاهر هذا التكريم؟

- **الإنسان خليفة الله في الأرض:** لقد كرّم الله سبحانه و تعالى الإنسان في الإسلام أن جعله خليفته في الأرض بعد أن نفخ فيه من روحه و هذا مصداقا لقوله تعالى:﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾[4].

- الإنسان محور الرسالات السماوية: إن الإنسان هو المقصود غاية وهدفا في بعث الرسل، واختيار الأنبياء، وإنزال الكتب والصحف ولم يخلق الله الإنسان عبثا، ولم يتركه سدىً، وإنما تكفل بهدايته وإرشاده إلى الطريق الأقوم والمنهج الأمثل، وذلك حماية له من الشيطان والضلال والشهوات والجهل والضياع، قال تعالى:﴿قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هدايَ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[5]، وقال أيضا:﴿قال اهبطا منها جميعًا بعضكم لبعض عدوٌ فإما يأتينكم مني هدًى فمن اتبع هدايَ فلا يضل ولا يشقى۞ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[6].

1- القرآن الكريم: سورة الأحزاب، الآية 72.
2-القرآن الكريم: سورة التين، الآية 4.
3- القرآن الكريم: سورة التين، الآية 5.
4- القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 30.
5- القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 38.
6- القرآن الكريم: سورة طه، الآية 123-124.

ولقد توالت الرسل والأنبياء وأنزلت الكتب والصحف مخصصة للإنسان وحده دون بقية الكائنات الحية الأخرى، والغاية من ذلك كله تحقيق سعادة الدارين للإنسان، وتأمين مصالحه بجلب النفع، ودرأ المضار عنه بإرشاده إلى الخير والأخذ بيده إلى ما هو أقوم، وإبعاده عن الغواية و الشر والمفاسد.

- **تكريم الإنسان في تشريع الأحكام:** وهو باب واسع يشمل كل الأحكام الشرعية، و ذلك لمعرفة العلة فيها والحكمة من تشريعها، و فيما بعض النماذج:

– **وجود الإنسان:** قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1]، وفي هذا دليل على مآنسة الإنسان لبني جنسه من باب التضامن والتعاون القائمة على التواد والتراحم بعصمة الزواج، وذلك إبداع رباني عظيم.

– **وجود الأولاد:** قال تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾[2]، أي وقاية الإنسان لنفسه وأهله من النار بأفعاله من خلال الوعظ والإرشاد والالتزام بأحكام الشريعة سواء بإتباع الأوامر بالطاعة والابتعاد عن المحرمات والمعاصي.

– **العقوبات:** قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾[3]، إن مقاصد القصاص إنما تتمثل في تكريم الإنسان بحفظ الدماء، والأنفس الحياة العامة وفي ذلك ترهيب من ارتكاب المعاصي، والوقوع فيها يؤدي من دون شك إلى العقاب المناسب دون المساس بكرامة الإنسان، فالعقاب تأديب وإصلاح وزجر وردع، وليس انتقام أو ثأر، وهذا ما يظهر جليا في رعاية الجانب الإنساني من المتهم أو حتى الجاني سواء في معاملته أو التحقيق معه، وفي محاكمته؛ كتأمين حقوقه الإنسانية فمنحه الحق في الدفاع عن نفسه، أو في معاقبته، وتنفيذ الحكم بالسجن أو غيره.

وعليه فجميع الأحكام الشرعية فيها مراعاة للجانب الإنساني، فما شرِّعت إلا خدمة لمصالح الإنسان قبل الولادة وبعدها، كرعاية الأيتام خاصة الأطفال منهم، وقد رعت شؤون الإنسان عند الموت وبعد الموت بالتجهيز والتغسيل، والتكفين، وكذا الصلاة عليه وتشييعه.

1– القرآن الكريم: سورة الروم، الآية 21.
2– القرآن الكريم: سورة التحريم، الآية 6.
3– القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 179.

- **تكليف الملائكة بالسجود لآدم:**

إن التكريم الإلهي للإنسان لم يقتصر على جعله خليفة في الأرض، بل كرمه حتى في السماء و الجنات العلى بأنه أمر الملائكة بالسجود لآدم تعظيما لشأنه واحتراما له؛ قال تعالى:﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ۞ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ۞ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ۞ إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين﴾[1]، وقد كرر الله هذه القصة في عدة سور من القرآن الكريم تذكيرا بفضل الله على الإنسان ، وليعرف هذا الأخير مكانته عند الله وتفضيله له، وليحذره أيضا من الغواية والعصيان.

- **تفضيل الإنسان على سائر المخلوقات:**

قال تعالى:﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾[2].

- **تسخير ما في الكون للإنسان:**

قال تعالى:﴿ألم تروا أن الله سخَّر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾[3]، وفي القرآن آيات كثيرة دالة على تسخير المخلوقات وتذليلها للإنسان تكريما له.

- **تكريم الإنسان بالعقل:**

العقل هو الأداة الكبرى للمعرفة، وعنه يتفرع التفكير، الإرادة، الاختيار، وكسب العلوم، لذلك كان الإنسان مسؤولا عن أفعاله، قال تعالى:﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب۞ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾[4]. وإذا فشل العقل في وظيفته فقد وجوده، وسلب الإنسان

1- القرآن الكريم: سورة ص، الآية (71- 74).
2- القرآن الكريم: سورة الإسراء، الآية 70.
3- القرآن الكريم: سورة لقمان، الآية 20.
4- القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية(190- 191).

إنسانيته وهذا ما أكده القرآن الكريم بنفي العقل عن الكافرين، قال تعالى:﴿إنَّ شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾[1].

- **تكريم الإنسان بالأخلاق والفضائل:**

تظهر كرامة الإنسان في دعوته إلى الأخلاق الفاضلة، وترغيبه في معالي الأمور والتسامي عن المادة ، و الحث على الخير والفضيلة بين الناس، فقد أثنى القرآن على النبي ﷺ ، قال تعالى:﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2]، وقد حث عليه النبي ﷺ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[3]، فدعا الإسلام إلى أسمى مكارم الأخلاق كالبر، الرحمة، الإخاء، المودة، التعاون، الوفاق، الصدق في القول، والعفو، الوفاء بالعهد المغفرة، الصبر والثبات، كما دعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتناصح، وبذلك فالأخلاق والفضائل عنوان الإنسانية.

ج– العصر الحديث:

لقد أدت التغيرات الاجتماعية والسياسية التي شهدتها أوروبا و إنسان العالم ككل، إلى تغيرات شاملة غيرت من نظرة الإنسان للوجود ونظرة الإنسان للإنسان، فكانت فلسفة عصر التنوير انعتاق الإنسان من هذا الظلام الدامس الذي يعيشه الإنسان، ليتحرر العقل ويفرض سيادته على معرفة الوجود الإنساني، لقد انتقد فلاسفة التنوير(فواتير، مونتسكيو، ج ج روسو) الكنيسة والنظام الإقطاعي، وبشروا بعهد جديد يرجع فيه الإنسان إلى ذاته، ويعرف مكانته في العالم ويكون مسؤولا عن تقرير مصيره في هذا الوجود بكل التصورات الغيبية واللاهوتية التي جعلت من العناية اللاهوتية محور العالم، يتقرر من خلالها مصير الوجود الطبيعي والاجتماعي والإنساني فجعلت من الإنسان مركز العالم وسيد نفسه، و حرا في قراراته[4].

1– القرآن الكريم: سورة الأنفال، الآية 22.

2– القرآن الكريم: سورة القلم، الآية 4.

3– حديث شريف(صحيح): رواه أبو هريرة، المحدث: الألباني، المصدر صحيح الجامع، الصفحة أو الرقم 2833، أخرجه أحمد(8939)، والبخاري في (الأدب المفرد)(273)، والبزار(8949) باختلاف يسير.

4– الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، الجزائر، 2015، ص 205.

لقد كان هذا العصر بمثابة دعوة صريحة لتحرر العقل من براثن الأفكار الراديكالية المتحجرة التي يحملها كل من رجال الكنيسة ورجال البلاط، حيث تقوم هذه الدعوة على دعامتين: العقل والحرية، حرية الإنسان في كل شيء الفكر والعمل والمعتقد، وذلك من أجل بلوغ مرحلة المدنية البشرية.

ونتيجة لهذه الأوضاع بدأت عملية بروز الإنسان ككيان انطلاقا من أب الفلسفة الحديثة رنيه ديكارت(1596-1650)الذي اعتبر الفكر جوهر الوجود الإنساني، ثم من بعده فرنسيس بيكون(1561-1626) ومعه فتحت أفاق جديدة سمحت للإنسان بإحكام سيادته على العالم من خلال مساهماته العلمية، ليصبح الإنسان بذلك سيدا للكون بفضل التطور المعرفي والعلمي، ما جعل الإنسان محل اهتمام جميع النظريات والميادين؛ فقد اتخذه فلاسفة العقد الاجتماعي(ت.هوبس، ج ج روسو، ج.لوك) مبدأً لنظريتهم السياسية القائمة على فرضية انتقال الإنسان تاريخيا من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، وذلك حتى يحفظ حقوقه وتقام واجباته ليتقمص بذلك مفهوم الكائن المدني، خاصة مع لوك الذي اعتبر الإنسان كائن اجتماعي بطبعه وعقلاني حر.

بينما إيمانويل كانط (1724-1804) فقد اتخذ من الإنسان مشروعا نقديا وخاصة في جانبه الأخلاقي، فنظر إلى الإنسان ككائن عاقل وحر أخلاقيا، وهذه الأخيرة –أي الأخلاق- هي التي تحدد قيمته كإنسان، ومن هنا يرفض كانط أن يُعَامَلْ الإنسان كوسيلة بل هو غاية في حد ذاته ويظهر ذلك من خلال قاعدته الأخلاقية المعروفة باسم قاعدة الغائية:(افعل الفعل بحيث تعامل الإنسانية في شخصك وفي كل إنسان سواك باعتبارهما دائما في الوقت نفسه غاية في ذاتها ولا تعاملهما أبدا كما لو كانت مجرد وسيلة)[1].

أما الإنسان عند هيجل(1770- 1830) فقد أخذ منحى آخر؛ فهو يرى أن الإنسان "معرف ومقدر وموضوع سلفا وفق قوة علوية سامية لا يدركها الإنسان إلا عن طريق العقل المطلق عبر التأمل والتصور والحدس[2]، وإذا ما تمكن الإنسان من إدراك هذه القوة (الروح المطلق) يتحرر تلقائيا من كل قيد، أما بالنسبة للألماني الآخر فريديريك نيتشه(1844- 1900) فيتمثل الإنسان عنده في فكرة "الإنسان الأعلى" (السوبرمان) الذي ننتظر ونتوقع قدومه ونتوق إليه "الذي لا يمكن أن يصل إليه الإنسان إلا عندما يتحرر من كافة القيود الفلسفية والدينية والأوهام التي جاءت بها المذاهب الأخلاقية، فإن تحرر من هذه القيود

1- إيمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، مرجع سابق، ص11.

2- الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، مرجع سابق، ص 197.

وجب عليه الاعتماد على نفسه دون أن يأبه للقسوة والحرمان، جاعلا لغرائز الرجولة وحب الفطرة الريادة على كل الغرائز الأخرى"[1]، والذي يعبر عن إرادة القوة والسيطرة، والإنسان الأعلى ليس حكرا على فترة زمنية معينة؛ فما الماضي سوى صورة للمستقبل، وهذا ما يمكن ملاحظته مع نيتشه في فكرة "العود الأبدي" التي تقر بتكرار الظواهر ليس في إطار سجنها في الماضي وإنما بخضوعها للصيرورة وعشقها للمستقبل[2].

د- العصر المعاصر:

لقد كان الإنسان محور اهتمام العديد من الفلسفات المعاصرة على اختلافها، إذ يختلف مفهوم الإنسان من فلسفة لأخرى، ومن أبرز الفلسفات التي تناولت الإنسان نذكر:

- **الإنسان في الفلسفة الوجودية:**

تعتبر الفلسفة الوجودية* من أحدث المذاهب الفلسفية رغم أن أصول بعض أفكارها قديمة، حيث كان الإنسان في صلب اهتماماتها وأكبر مقاصدها، إذ كان الإيمان وعدم الإيمان بالعناية الإلهية في تلك الفترة قد أثر على توجيه الفكر الإنساني واهتماماته بمشاكله ورؤيته لمشاكله في الكون، وهو الذي أثر على الوجودية في رؤيتها لحقيقة الإنسان ، الوجودية التي اعتبرت من التيارات الفكرية التي دعت إلى إعادة النظر في علاقة الإنسان بالوجود أو إلى ضرورة الانطلاق من واقعه المعاش لأنه مركز المشكلة والمعرفة الإنسانية، ولعل من أبرز رواد هذا الفكر: "**سورين كيركجارد**" SØrendatter Lund Keirkegaard(1813- 1855)، "**مارتن هيدجير**" Martin Heïdegger (1889- 1976)، "**جون بول سارتر**" Jean-Paul Sartre (1905- 1980)، و"**كارل ياسبرز**" Karl Theodor Jaspers (1883- 1969)، إذ كان "كيركجارد" مهتما بقضايا الإنسان فلم تكن الفلسفة عنده تخرج عن نطاق

1- بن علي محمد: سؤال الإنسان في الفكر العربي الإسلامي الليبرالي الغربي، دراسة فلسفية في المفهوم والحقوق، أطروحة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم الفلسفة، 2013، ص 16.

2- الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، مرجع سابق، ص 186.

*- الوجودية تيار فلسفي ظهر في القرن العشرين يعلي من قيمة الإنسان و يرفع مكانته في هذا العالم، ويجعل منه الكائن الوحيد الذي سبق وجوده ماهيته، والوجودية نوعان: وجودية مسيحية يمثلها كيركجارد، مارسيل، ووجودية ملحدة يمثلها سارتر وتعود جذور نشأتها إلى الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي نجمت عن الحربين العالميتين الأولى والثانية ونتيجة الشعور بالقلق والخوف على الإنسان من حيث حريته ومصيره.

البحث في الإنسان ومختلف مشكلاته وقضاياه؛ فاعتبر الإنسان بوصفه الذات المفردة هو مركز البحث وأحواله الوجودية الكبرى مثل الموت والخطيئة والقلق والمخاطرة من المقومات الجوهرية لوجوده، والحرية والمسؤولية والاختيار هي المعاني الكبرى في حياته،...، ومن قال كيركجارد أن الاختيار يَجُرُّ إلى الخطيئة وإلى المخاطرة، وهذه الأخيرة بطبعها تؤدي إلى القلق، قلق على الإمكانيات العامة وقلق من الذي قد يصيب المرء[1]، وبدون القلق لا يمكن للإنسان أن يعيش حقيقة الوجود، بينما كان اهتمام "**هيدجير**" منصبا حول علاقة الوجود بالعدم(الموت)، وقد اعتبر القلق أساس المسار الوجودي للإنسان، بحيث أنه يكشف عن العدم أكثر مما يكشف عن الوجود ذلك أن الكشف عن الوجود يتيح لنا معرفة العدم.

إن الإنسان في الفلسفة الوجودية هو صانع لنفسه، وهو أهم ما يميز الوجود الأصيل، الوجود الحر القائم على الاستثمار في الحرية، إذ تعتبر المغايرة من المقومات الأساسية لهذا الوجود ومن ذلك يقرر مصيره ويحدد ماهيته؛ لنفهم من هذه الفلسفة أن الوجود سابق للماهية عكس الطرح الديكارتي من خلال عبارة الكوجيتو:(أنا أفكر إذن أنا موجود)، ما يجعل من الإنسان –حسب هيدجير– مشروع من المشروعات وهو كائن يتجه دائما نحو إمكانياته[2]، ذلك أن هذا المشروع ناقص على الدوام يسير باستمرار نحو امكانياته التي هي في الحقيقة نفسه التي يريد أن يكونها.

لقد للوجودية الفضل في إحياء الذات والرفع من شأن إرادة الإنسان وحريته في تقرير ما سيكون عليه.

- **الإنسان في الفلسفة البراغماتية:**

اهتمت الفلسفة البراغماتية* –هي الأخرى– بالإنسان حيث جعلته في المقام الأول ما دام أنه منبع الفكر المبدع وصانع العمل والممارسة بل إنه صانع القيم ومصدرها، وبرر "**وليام جيمس**" William James (1842– 1910) ذلك بقوله:(إن مصدر العلم الأخلاقي إنساني بحت، وذلك أن الإنسان هو الكائن

1– الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، ص (207– 208).

2– الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، مرجع سابق، ص 215.

*– البراغماتية Pragmatisme لفظ مشتق من الكلمة اليونانية Pragma، ومعناها العمل، وهي مذهب فلسفي يستند إلى أن فكرة أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح؛ فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة عمليا وتجريبيا، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية.

الخلقي الوحيد في العالم، ولذا فالمعقول أن يكون مصدر الخير والشر والفضيلة والرذيلة. إن الإنسان هو الخالق الوحيد للقيم في ذلك العلم وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتباره هو[1]،

كما نظرت إلى الإنسان نظرة بيولوجية مادية وهذا طبعا راجع إلى وظيفتها التربوية للإنسان إذ يؤكد "**بيرس**" على أهمية الغريزة كمصدر من مصادر المعرفة في قوله:(كل المعرفة البشرية إلى حد أعلى درجات من العلم هي مجرد تطوير لغرائزنا الحيوانية ،فإذا لم يكن للإنسان أي ميل طبيعي استنادا للطبيعة، فإنه لا يوجد فرصة لفهم الطبيعة إطلاقا)[2].

- **الإنسان في الفلسفة الواقعية:**

حاولت الفلسفة الواقعية إعادة الاعتبار إلى العقل، إذ ترى أنه قادر على إدراك الحقيقة، ومن هنا تأتي أهمية الإنسان؛ الذي وظيفته الجمع بين العقلي والتجريبي لبلوغ الحقيقة ولا يجب أن نفهم من هذا أن المذهب الواقعي يجمع بين المذهب العقلاني والمذهب التجريبي لأن هذين المذهبين متضادين لا يمكن الجمع بينهما، بل إن المذهب الواقعي يتجاوزهما.

إن المذهب الواقعي جعل الإنسان متميز عن غيره من الكائنات الحية الأخرى، بل هو عقل فعال في جسم حساس، عقل قائم على الشك لكن ليس الشك المطلق، والواقع موجود خارج الذات العارفة ؛ وتتم معرفة المظاهر بالحواس والجواهر بالعقل[3]، وحسب ما يقول "**إميل فرانسوا زولا**" Emile Zola (1840-1902) أحد ممثلي المدرسة الواقعية في الأدب الفرنسي(أن الإنسان ما هو في جوهره إلا حيوان مفترس يتخذ غرائزه الحيوانية أساسا لأفكاره، وأن الخير يزول بمجرد تقابله مع صراعات الحياة، فتظهر الحقيقة الشريرة للإنسان)[4].

1- نايف بن عبد الرزاق بن حمادي مطرفي: الفردية في الفلسفة البراغماتية دراسة تحليلية ناقدة في ضوء التربية الإسلامية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، إشراف الدكتور محمد عيسى فهيم، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، المملكة العربية السعودية، 1432- 1433هـ(2012م)، ص 19.

2- نايف بن عبد الرزاق بن حمادي مطرفي: مرجع سابق، ص (69- 70).

3- الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، مرجع سابق، ص 160.

4- محمد عطا أبو سمعان: منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة دراسة نقدية في المفهوم والحقوق، أطروحة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2013، ص ص (81- 85) بتصرف.

- **الإنسان في الفلسفة الإنسانية:**

ينطلق رواد هذه الفلسفة من التطور الطبيعي للبشر، ويتميز هذا التطور بالديمومة وهو حال المخلوقات الأخرى في العالم، و تعتبر الفلسفة الإنسانية البصيرة الروحية مصدر لكل أفكار وأفعال الإنسان الذي له كل الحق في تشكيل ونحت ملامح حياته.

من خلال ما تم عرضه لمفاهيم الإنسان الفلسفية عبر العصور والتي رغم اختلافها إلا أنها لم تخرج عن الإطار الحقيقي للإنسان، الذي يحمل صورته الحقيقية والتي تجعل منه دائما أرقى الكائنات ما دام أنه بعدة محمولات جوهرية والمتمثلة في عاقل، ناطق، سياسي(مدني)، وأخلاقي من جهة، ومن جهة أخرى فإننا لا ننسى دور الفلسفة والفلاسفة في محاولة ضبط هذه المفاهيم.

المبحث الثاني: الإنسان في البيوتيقا:

لقد أدت التطورات العلمية إلى تحولات رهيبة مست مختلف جوانب حياة الإنسان، حيث أصبح هذا الأخير يعاني حالة من الاغتراب بسبب غياب الوازع القَيْمِي، فضلا عن تشبعه بكل ما هو مادي وانسلاخه عن كل ما هو روحي، الأمر الذي جعله عبدا لمتطلباته الجسدية والتي أصبحت في متناوله بفضل التكنولوجيا بمختلف آلياتها، وبذلك فهو عبد للتكنولوجيا، هذه الأخيرة التي جعلته يعيش القلق واللاستقرار في سلوكاته بسبب غياب المبادئ الأخلاقية التي تنير درب البشرية جمعاء، إنَّ التكنولوجيا في غياب الحصانة الأخلاقية أصبحت تشكل خطرا على الإنسانية ككل، وأبرز مثال على ذلك كسر الحواجز الإنسانية في الميدان البيولوجي.

إذا كان مفهوم الإنسان قد ضبط في الفلسفة بمختلف تياراتها فإنها لم تخلو من الجوانب الإنسانية المعبرة عن الماهية الحقة للإنسان؛ كالتفكير والأخلاق، غير أن هذا المفهوم عرف تصدعات كبيرة في ظل التطبيقات البيوتكنولوجية* المعاصرة، التي هدمت كيان الإنسان وغيبته عن ساحة التطورات التي شهدتها مختلف الميادين، فشرع إنسان القرن العشرين في البحث عن معنى جديد للحياة وعن قيم أخرى تجعله

*- البيوتكنولوجيا(التقنية الحيوية): هي كلمة مكونة من مقطعين؛ الأول:(Bio) وهو مشتق من الكلمة اللاتينية Bios، أما الثاني: Technology ويعني الطريق المنظمة لعمل الأشياء (Systematic Technology) وهو بذلك: أية تطبيقات تكنولوجية تستخدم النظم البيولوجية والكائنات الحية ومشتقاتها.

يتعلق بها[1]، هذا البحث عن منظومة قيمية جديدة غَيَّرَ الإنسان في حد ذاته وبمختلف أبعاده الإنسانية، الأسرية والاجتماعية، خاصة في ظل الثورة العلمية التي مكنت العلماء من الاطلاع على الخارطة الجينية للكائن الحي وبأدق التفاصيل إن على مستوى المادة، الحياة وحتى العقل، فعلى مستوى المادة كانت الثورة الفيزيائية،

أما على مستوى الحياة كانت الثورة البيولوجية (الجينوم)، بينما على مستوى العقل كانت الثورة التقنية(الذكاء الاصطناعي)، والتي كلها مجتمعة كانت لها انعكاسات عميقة على الطب والبيولوجيا خاصة بعد تطور التقنيات الطبية في مجال الهندسة الوراثية والتي غربت الإنسان عن مفهومه كإنسان عاقل ومفكر، ليصبح مجهول الهوية وبأسماء متعددة في هذا التطور الوراثي، ويمكن الاصطلاح عليه بالإنسان المعدل جينيا؛ الإنسان المستنسخ، أو الإنسان الآلي،...إلخ.

لقد أدت التطورات البيوتكنولوجية إلى ثورة حقيقية في حياة الإنسان خاصة مع تلك الآمال والأحلام التي حملتها معها أي السعادة والرفاهية في القضاء على المشاكل الصحية؛ كالأمراض المزمنة والأورام السرطانية، وإمكانية تعويض الأعضاء المصابة أو التالفة من أجل استعادة وظيفتها العضوية، فضلا عن إمكانية تحديد النسل والقضاء على العقم وتلافي الأمراض الوراثية التي قد يكون الشخص عرضة للإصابة بها بحكم تناقلها الوراثي...، و كل هذا في حقل الهندسة الوراثية* الذي أصبح يعج بالمشاكل الأخلاقية ، الأمر الذي أكده فرانسوا داجونياي* بقوله:(يوم دخلت البيولوجيا حرم الحياة أصبحت تثير تساؤلات أخلاقية، فالمشكلة الأخلاقية توجد تماما في قلب البيولوجيا المعاصرة)[2]، بمعنى أن البيولوجيا المعاصرة لم تقتصر على تلك الأوجه الإيجابية المتمثلة في الآمال والأحلام فحسب، بل إنها حملت معها

1- محمد جديدي: البيوتيقا ورهانات الفلسفة القادمة، مجلة مؤمنون بلا حدود، د ع، 2016/05/10، ص 8.

*- الهندسة الوراثية: هي التقنية التي تتعامل مع الجينات البشرية منها والحيوانية، بالإضافة إلى جينات الأحياء الدقيقة، أو الوحدات الوراثية المتواجدة على الكروموزومات فصلا أو وصلا، وإدخال الأجزاء منها من كائن لآخر بغرض إحداث حالة تمكن من معرفة وظيفة "الجين"، أو بهدف زيادة كمية المواد الناتجة عن التغيير عنه بهدف استكمال ما نقص منه في خلية مستهدفة.

*- فرانسوا داجونياي Francois Dagognet طبيب وفيلسوف ابستيمولوجي فرنسي من مواليد 1924، تلميذ جورج كانغيلام، من مؤلفاته: Nature – philosophie biologie أنظر علي حرب، موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربة للأكاديمية الفلسفية الفلسفة الغربية، ص1436.

2- علي حرب: موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربية للأكاديمية الفلسفية، الفلسفة الغربية المعاصرة، ج2، منشورات ضفاف، دار أمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الرابطة المصرية الأكاديمية للفلسفة، 2013، ص 469.

الخوف والقلق على مصير الإنسان الذي أصبح التخلص من المعاناة والاهتمام بجمالية جسده فيزيولوجيا ومورفولوجيا هاجسه الأول، ومن أكثر القضايا إثارة في الهندسة الوراثية نجد تحديد جنس الولد وإمكانية التحكم فيه، الاستنساخ البشري، الموت الرحيم، ...إلخ.

1- مفهوم الإنسان في ظل إشكالية تحديد النسل:

قبل أن تصبح الوراثة علما كامل النمو فإنها كانت تجبرنا دائما على أن نتخذ أحكاما تقويمية، فالآباء يأملون أن يرث أبناؤهم ما يعتبرون أنه أحسن ما فيهم من صفات وراثية، بل وحتى تحديد جنسه (بين ذكر أو أنثى)، أي أصبح بإمكان الآباء أن يختاروا بحرية خصائص من سيولد من نسلهم[1]، وهذا ما يعد ثورة حقيقية على المعتقدات السابقة إذ يقول "**روبرت بلومين**":(منذ خمسة عشر عاما فقط كانت فكرة الأثر الوراثي على السلوك البشري المعقد تعتبر أمرا ملعونا عند الكثيرين من علماء السلوك. لكن دور الوراثة قد أصبح الآن مقبولا لحد بعيد، حتى في الميادين الحساسة مثل معامل الذكاء)[2].

إن تحديد جنس الولد "ذكر، أنثى" مع إمكانية تحديد ملامحه أصبحت واقعا في مخابر الهندسة الوراثية، ليس هذا فقط بل وحتى في الميادين الأكثر حساسية مثل الذكاء والشعور وغيره، فقد كتبت المؤرخة "**ديانا بول**" تقول:(إن ثمة إجماعا بين الوراثيين على دور الوراثة في تحديد الصفات الذهنية والسيكولوجية والأخلاقية)[3].

إن التحدي ...واضح، هل يستطيع الإنسان تحقيق آماله وأحلامه؟ هل نستطيع أن نطور علم وراثة متينا وشاملا نأمل من ورائه إلى الوصول في المستقبل إلى إنسان فائق؟ هل نستطيع معرفة ما يكفي عن حياتنا العضوية كي نتمكن من عقلنة السلوك البشري؟

وهو نفس الأمر الذي أشار إليه الأمريكي فرانسيس فوكوياما(**1952-**)**Yoshihiro Francis Fukuyama** بقوله:(الجائزة الكبرى للتكنولوجيا الوراثية الحديثة هي الطفل بالتفصيل بمعنى سيتمكن

1- دانيال كيفليس وليروي هود: الشفرة الوراثية للإنسان القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري، تر: أحمد مستجير، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 217، يناير، 1997، ص 263.

2- دانيال كيفليس وليروي هود: المرجع نفسه، ص 287.

3- دانيال كيفليس وليروي هود: المرجع نفسه: ص (287- 288).

العلماء من تحديد جنسه وصفاته كالذكاء والطول ولون الشعر)[1]، بمعنى أن التطور التقني مكن الإنسان من تحقيق ما يعرف ب "**طفل تحت الطلب**" أي تصميم الأطفال ليس من الجانب العضوي فحسب، بل وحتى من الجانب السيكولوجي كالشعور، الذكاء...، لنكون بذلك على أعتاب ميلاد الإنسان المبرمج أو المعدل وراثيا (جينيا).

إن التطورات البيوتكنولوجية التي عرفها القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين قد أثارت الكثير من القلق والمخاوف لدى الإنسان المعاصر، وذلك لما أحدثته من تغيرات جذرية على مستوى مفهوم الإنسان وماهيته الأسرية والاجتماعية؛ فلم تعد الأسرة تضطلع بنفس وظائفها الاجتماعية كمنبع لراحة الإنسان من كل همومه ومشاكله، حيث فقدت الكثير من بريقها ورونقها الاجتماعي وتحطم مفهومها بحراب الهندسة الوراثية، وذلك بعد أن كانت بمثابة "**ممتص الصدمات العملاق**"، كما أنها المستشفى الأمثل للراحة والتداوي من جراحات الصراع مع العالم، حيث يقول :"**ليندبرغ**" في كتابه "**التحول المقبل في العالم**":(إن الأسرة تقترب من نقطة الانقراض التام بفعل منجزات التغيير والجدة في نطاق تحسين النسل وهندسة الوراثة)، ويقول "**وولف**":(إن الأسرة قد ماتت بالفعل فيما عدا العام الأول أو العامين الأوليين من تنشئة الطفل)، و يعتقد غيرهما بأن الأسرة تسرع نحو التمزق الانقراض[2].

تعد ثورة الجينوم في مسألة تحديد الجنس والتحكم في تصميم ذكائه وملامحه وخطوط شخصيته كانت وراء موت وانقراض الأسرة وأدوارها، هذه التحولات يجب أن ننظر إليها كإمكانيات واردة في المستقبل القريب، والقريب جدا، كالدخول إلى "معرض الأجنة" Embryo shop وشراء ما ترغب فيه منها بالفعل[3]، هذه النظرة الاستشرافية وبالرغم مما تحمله من آمال وأحلام مشرقة إلا أنها لا تخلو من بعث الخوف في نفوس الأطباء وأهل البيولوجيا، وذلك بسبب المستقبل المجهول للإنسان في ظل هكذا تحولات، كما أن التأثير السلبي لهذه المشاريع لم يكن فقط على الأسرة كمؤسسة اجتماعية وإنما حتى على مستوى مفهوم الوالدية الذي –هو الآخر– يشهد تغييرا جذريا، إذ يمكن للطفل أن يكون وليدا بيولوجيا لأكثر من أبوين، وهنا نتعرف على مفهوم الإنسان متعدد الأنساب، والمصير نفسه يلقاه مصير الأمومة الموضوع الذي أثار

1– فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، تر: أحمد مستجير، ط1، إصدارات سطور، د م، 2002، ص 125.

2– محمد سعيد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984، ص 98.

3– محمد سعيد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، المرجع نفسه: ص 99.

الكثير من التساؤلات من قبل مقدسي الأمومة؛ فيتساءل "وايتزن" قائلا: (ماذا سيحدث لمقدسي الأمومة في حالة ما إذا كان وليد الأم ليس ابنها في الحقيقة وإنما هو إنتاج بويضة ذات خصائص وراثية أعلى، زرعت تلك البويضة في رحمها بعد أخذها من رحم امرأة أخرى...؟ ماذا يحدث عندما ترى الأجنة في معدات المختبرات البيولوجية؟ إن أهمية مستقبل النساء لن يكون بسبب قدرتهن على الحمل والإنجاب، وهذا معناه تهديم قدس الأمومة)[1].

إن هذه الممارسات تقضي على مفهوم الأمومة وقدسيتها سواء أكان الدافع صحي أو الحفاظ على جمالية الجسد الأنثوي الذي سيتأثر لا محالة بمتاعب الحمل وأعراضه المتعددة ما يؤدي إلى فتور وتلاشي دور الأم.

بالإضافة إلى الإشكاليات المذكورة سابقا تطرح مشكلة تحديد النسل إشكالية أخرى وهي حدوث تغيرات على مستوى مفهوم الإنسان الذي لم يعد يتماشى والمفهوم التقليدي في مجال الفلسفة باعتباره: كائن أخلاقي، سياسي، عاقل، والذي لم يأخذ في اعتباره نوع الجنس "ذكر أو أنثى" وبحكم المفاضلة بين الجنسين تغير مفهوم الإنسان وبالأخص الذكر، التغير الذي خيم عليه الطابع العنصري في الجنس، وأسقط الإنسانية من برجها العالي المصبوغ بصبغة قيمية متعالية.

2- مفهوم الإنسان في الاستنساخ البشري:

الاستنساخ من الفعل (نسخ) وهو الحصول على صورة طبق الأصل من النسخة الأصلية عن طريق زرع نسخة عادية في بويضة أفرغت من الصبغيات(الكروموزومات)، أي من الإرث الجيني، بحيث تصبح خلية قابلة للتكاثر عن طريق الانقسام الخلوي المعتاد، ثم ملؤها بخلية أخرى من كائن مكتمل النمو، تحمل صفاته الوراثية و زرعها في رحم أنثى بالغة...، لتأتي النتيجة جينيا مولودا مستنسخا من صاحب الخلية المزروعة[2].

يعتبر الاستنساخ البشري من أبرز إنتاجات الثورة البيولوجية في حقل الهندسة الوراثية ، والذي شكل واحد من أهم القضايا التي شغلت الرأي العام والخاص من فلاسفة وعلماء وأخلاقيين وقانونيين، محاولين معرفة خبايا هذا الميدان وانعكاساته على الإنسان ككل، وذلك لضمان سلامته وصون كرامته التي كثر

1- محمد سعيد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، المرجع نفسه، ص 100.

2- www.ar.m.wikipedia.org استنساخ ويكيبيديا: اطلع عليه يوم: 2023/05/29، 22:59.

التجاوز عليها في ظل التطبيقات الوراثية في المجال البيو–طبي، والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح جاء مع العالم "**ليندبرغ**" حول ما إذا كانت عملية الاستنساخ البشري –في حالة السماح بها– حَرِيَّة أن تصبح حرجة، وتعبير "حرجة Critique" تعبير استخدمه "**ليدبرغ**" عن قصد إلى معنى يكاد يكون مطابقا تماما للمعنى الذي يتضمنه نفس التساؤل الذي أثير حول القوى النووية Force nucléaires أنها سوف تصبح حرجة بالفعل إذا ما كانت هناك فوائد إيجابية لجعلها كذلك[1].

ولعل فقدان الإنسان لفرديته واستقلاليته من أبرز انعكاسات الاستنساخ البشري على الإنسان؛ فالاستنساخ البشري يقضي على استقلالية الفرد الوراثية حيث يؤدي إلى تقويض الصلة بين الجنس والإنجاب والتكاثر الجنسي العادي الذي هو سر الطفل منذ بداية الخليقة والذي يكون فيه الطفل هو المجسد لتوحد الوالدين ولكن ليس نسخة عنهما[2]، إن الفردية والاستقلالية من أهم الصفات أو بالأحرى المميزات الخاصة التي يتفرد بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية، وكذلك بشخصيته عن بني جنسه.

ومن جانب آخر قد يقضي الاستنساخ على تلك العلاقة الطبيعية بين الجنسين(ذكر– أنثى)و التي تثمر مولودا يربط بينهما ويوحدهما، والذي قد يشبه أحد الأبوين لكن ليس لدرجة التطابق النسخي لوالديه كما هو الحال في الاستنساخ البشري الذي تغيب فيه العلاقة الجنسية بين الطرفين(ذكر– أنثى)، فضلا عن هذا فقد يخلق الاستنساخ مشكلة استقلالية الشخصية من الثقافي أو الإنساني عامة، لنكون أمام شخصية كونية واحدة، وهذا أمر لا يمكن تخيله البتة، حيث يقول الله تعالى:﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾[3]، فالاختلاف سُنَّة كونية منذ بداية الخليقة وهذا ما يظهر أيضا في قوله تعالى:﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾[4].

كما أفضى الاستنساخ إلى ما يعرف بالتوالد اللاجنسي عن طريق الخلايا الجسدية لا الجنسية، وهو أمر مناف للقيم الأخلاقية، ما يجعل من الإنجاب مجرد صناعة، خاصة عندما قدم إمكانية التحكم الكامل

1– محمد سعيد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، مرجع سابق، ص 112.

2– محمد إشماعو: الاستنساخ الحيوي الخليفة العلمية الجدل الديني والأخلاقي، www.almouthakaf.com 2018/03/20م، 11:30 pm.

اطلع عليه يوم: 2023/05/29م.

3– القرآن الكريم: سورة النحل، الآية 93.

4– القرآن الكريم: سورة الروم، الآية 22.

والحقيقي والفعلي في أهم عامل في تكوين الطفل وجينومه الوراثي فتمتد بذلك يد البشر في عملية الخلق[1]، وهذا ما لا يتماشى مع القيم الدينية والسنن الكونية، مصداقا لقوله تعالى:﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[2].

كما يطرح الاستنساخ البشري مشكل آخر على مستوى الهوية الاجتماعية والقانونية للمولود المستنسخ، ومكانته في ظل العلاقات الأسرية والاجتماعية، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل ستقوم الدولة بتربية الأطفال هؤلاء؟ وهل سيكون هذا الأسلوب الذي خلقته "هندسة الوراثة" بديلا للأسرة؟ هل سيوزع هؤلاء الأطفال على عائلات مختلفة لتربيتهم لمعرفة تأثير البيئات الاجتماعية المختلفة على لأطفال متطابقين وراثيا؟ هل سيستخدم الوالدين هذه الطريقة لإنجاب أطفال يكونون طبق الأصل من كل منهما؟ ما تأثير كل ذلك على تطلعات الوالدين بالنسبة لأطفالهم، وعلى إحساس الطفل بذاتية شخصيته؟[3].

مما لا شك فيه أن الاستنساخ قد حطم –بشكل أو بآخر– الخلية الأساسية للمجتمع ونواته الأم المتمثلة في الأسرة التي تعتبر كواحدة من أهم قوى الاستقرار في المجتمع بفضل مختلف وظائفها وخاصة البيولوجية منها، والمتمثلة في الزواج والوالدية، وبفعل الاستنساخ لم يعد هناك إلا (نسخ للعواطف الأبوية والعائلية فيفقد بذلك الأبناء شرف الانتماء ويصبح الشعب جيلا من اللقطاء)[4].

كما قد يؤدي الاستنساخ إلى إنتاج أشخاص مشوهين، أو مجرمين عندهم الاستعداد للإفساد والتخريب، الأمر الذي ينبئ بحرية الجريمة خاصة في ظل عدم وجود قانون خاص يحمي الجسد البشري من الاعتداء الصارخ تحت أي ظرف أو حكم كان، وبهذا يمكن اعتبار الاستنساخ من أسلحة الدمار الشامل.

1- محمد إشماعو: الاستنساخ الحيوي الخليفة العلمية الجدل الديني والأخلاقي، الرابط: www.avkocatdumarou.com 2018/03/11، pm.10:12 اطلع عليه يوم: 2023/03/29، 22:11.

2- القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 1.

3- سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، ص 96.

4- محمد صالح المحب: حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ، د ط، دار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، 2004، ص183.

كما ينجم عنه فقدان التنوع الذي يعتبر أساس المجتمعات ؛ ففي الاختلاف رحمة وحكمة إلهي:﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾[1]، فضلا عن قتل الطموح والتفاؤل والإيمان الناتج عن إلغاء التطور والتقدم.

وتجدر الإشارة في الموضوع إلى أن الاستنساخ لا يعني الخلق من العدم بل هو تقليد للأصل الذي لا غنى عنه، بل لابد من وجوده، يقول تعالى:﴿لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له﴾[2]، وأن الله هو من أوجد العقل المفكر والمدبر، يقول تعالى:﴿بدأ خلق الإنسان من طين﴾[3]، فالفضل للمبتدي ولو أَحْسَنَ المقتدي[4]، قال تعالى:﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾[5]، ويقول أيضا:﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾[6]. ﴾[6].

ومن هنا نفهم أن مفهوم الإنسان قد اتخذ منحى آخر وهو مفهوم ما بعد الإنسان المتمثل في الإنسان المستنسخ أو المعدل جينيا والمتعدد الأنساب الذي لا هَمَّ له سوى جمالية الجسد وكيفية الاعتناء به وعبادته، وهي من أهم التحولات التي أحدثتها الثورة البيو-طبية التي تعتبر-هي الأخرى- حديثة العهد.

3- مفهوم الإنسان في الموت الرحيم:

قبل التطرق إلى مسألة الموت الرحيم حَرِّيٌ بنا التعريج على مفهوم الموت الذي يعني توقف جميع الوظائف الحيوية والبيولوجية في الجسم وبصورة دائمة، ويكون الهدف من هذه الوظائف البيولوجية هي المحافظة على بقاء الكائن الحي على قيد الحياة، وهناك الكثير من الأسباب والظواهر التي قد تؤدي إلى الموت مثل التقدم في العمر، أو سوء التغذية، أو تعرض الإنسان لصدمة نفسية، أو الانتحار أو التعرض للقتل، ومن بين أشكال هذا الأخير نجد ما يصطلح عليه بالموت الرحيم Euthanasia أو

1- القرآن الكريم: سورة النحل، الآية 93.
2- القرآن الكريم: سورة الحج، الآية 73.
3- القرآن الكريم: سورة السجدة، الآية 22.
4- محمد صالح المحب: حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ، د ط، دار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، 2014، ص 181.
5- القرآن الكريم: سورة المؤمنون، الآية 14.
6- القرآن الكريم: سورة النمل، الآية 88.

القتل الرحيم(كما يحلو للبعض تسميته)، والذي كواحدة من أكبر القضايا إثارة للجدل في الحقل البيوتيقي، باعتباره "أحد الموضوعات الدقيقة في المجال الطبي والشرعي من حيث ارتباطه بالإنسان المكرم والمكلف، ومن حيث اتصاله بحريته وحرمته وحفظ نفسه وحقوقه، و من حيث جريانه في بعض البيئات الغربية التي اتسمت بالنظر المادي والنفعي إلى حس الإنسان ووجوده ودوره"[1].

هذا النوع من القتل لا يحظى بالإجماع القانوني والديني بين مؤيدين ورافضين للتشريع القانوني له والسماح بممارسته، ولعل الأغلبية الساحقة من هؤلاء قد رفضوه سواء من طرف رجال الدين وحتى رجال القانون وذلك بسبب المشاكل الأخلاقية التي يخلقها فضلا عن المشاكل البيو–طبية.

القتل الرحيم لا يمس المريض فقط بل وحتى مهنة الطب ككل، فأخلاقيات الطب تمنع الطبيب من إجراء التجارب على الإنسان وإلحاق الضرر به، ذلك أن مهمة الطبيب معالج المريض، ليكون الطبيب بذلك مصدر تفاؤل وأمل، وما يعزز ذلك أكثر تطور الجانب البيوتكنولوجي الذي ما فتئ يعزز مهمة الطبيب كمهنة نبيلة، وهذا ما يشكل جرعة أمل لكل مريض في إمكانية الشفاء، فمهمة الطبيب الأولى هي المحافظة على مصلحة المريض، لكن هذا النوع من الممارسات البيو–طبية (القتل الرحيم) أصبحت فيها المسؤولية على كاهل المريض وذويه في تقرير ما يصلح له ولهم، وفي ذلك شفقة عليه بسبب عدم القدرة على رؤيته يتألم، فضلا عن التكاليف الاقتصادية المترتبة عن العلاج، والتي قد تجعل أهله غير قادرين على مواصلة العلاج الذي لا سبيل إليه، ما دام المريض ميؤوس من شفائه ولا مصير له سوى الموت المحتوم، وهذا ما يدفعهم لقتله.

إن هكذا ممارسات قد تقرأ على أنها لا مسؤولة، واستهتار بكرامة الحياة الإنسانية والإنسانية في حد ذاتها.

القتل الرحيم هو قتل للأمل في الشفاء في نفس كل مريض، ما قد ينتج عنه اضطرابات نفسية واجتماعية اتجاه أي مرض مفاجئ ما يجعل الطب في غنى عن طلب العلاج، كما أن هذا النوع من القتل هو في حقيقة الأمر لا رحمة فيه بل هو اعتداء صارخ على الحياة البريئة، أما الكلام عن الشفقة فهو مجرد ادعاء وذريعة للتخلص من المريض الذي أصبح عالة عليهم(الطبيب، الأهل والمجتمع)،

1– نور الدين بن مختار الخادمي: قتل الرحمة وإيقاف العلاج عن المريض الميؤوس من شفائه حكمه ومدركاته، مجلة المجمع الفقهي، دورية، العدد 41، 2018م، ص 3.

كما أنه وسيلة من وسائل التطهير العرقي فيخلص من مجموعة من البشر تشفيا مثلا بدعوى اليأس من أحوالهم المرضية[1].

رغم كل ما ينجم من مشاكل عن القتل الرحيم ، إلا أن هناك من العلماء والأطباء والفلاسفة من يؤيدون ممارسته، ومن بين هؤلاء الطبيب الإبستيمولوجي والفيلسوف الفرنسي "**فرانسوا داغونياي**" Francois Dagognet (1924– 2015) الذي نادى بضرورة العمل بهذا النوع من القتل معتبرا إياه كنوع من العلاج للمرض والآلام التي تصاحبه حيث يقول:(إن البيولوجي الطبيب يخرج عن إنسانيته حيث يقدم الحجة التالية: إلى هذا الحد فإن الحياة تصبح عبثا، فلماذا لا أصبح أخيرا أنا المتحكم فيه؟) فالمسألة لها بعد قانوني: من له الحق في اتخاذ القرار؟ هل هو المريض الميت؟ لذا يرى "داغونياي" أنه من حق المريض أن يطلب الموت مثلما كان له الحق في الحياة وليس الطبيب من يقرر ذلك أم لا؟[2]، وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن "داغونياي" لا يقصد من وراء ذلك تغييب الجانب الأخلاقي، بل على العكس من ذلك فهو يوفق بين الدراسة العلمية والتطور الأخلاقي مع تأكيده على ضرورة مراعاة إرادة الفرد ورغبته في اتخاذ القرار إزاء تطبيق تقنية بيولوجية معينة دون تدخل الطبيب أو أي سلطة معينة[3].

بناء على ما سبق التعرض له نصل إلى أن مفهوم الإنسان قد عرف تغيرات في الصميم في ظل التطبيقات البيو–طبية الجديدة، فإذا كانت الإرادة و التحدي والأمل من مركبات ماهية الإنسان الروحية فإنها قد طمست تماما بسلاح الموت الرحيم، إذ لم يقتصر القتل على الجسد فقط، بل تم تجاوز ذلك بقتل الروح قبل ذلك، وقتل المريض ما هو في حقيقة الأمر إلا قتل للأمل والإرادة التي تعتبر درع واق للمريض في تحديه لمرضه بتحمل الآلام والصبر عليها، وفي نفس الوقت قتل لإرادة الطبيب في مجابهة المرض ووصف العلاج.

1– أحمد إدريس: مقال ضوابط المصلحة الشرعية(2)، مجلة إسلام أون لاين، الرابط: https://islamonline.net اطلع عليه يوم: 2023/06/07، 23:58.

2– حسن المصدق: حسن المصدق: البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، ط1، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف بيروت دار الأمان، الرباط، 2014، ص 218.

3– حسن المصدق: حسن المصدق: البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية المرجع نفسه: ص219.

إن مفهوم الإنسان وجوهره الروحي قد تصدع على إثر التطبيقات البيوتكنولوجية التي أدت إلى تلاشي الإنسان بكل قيمه ومعانيه، أو بالأحرى فقدان الإنسان لإنسانيته التي لا طالما عرف بها.

الفصل الثالث:

التداعيات الأخلاقية للبيوتيقا

المبحث الأول: التداعيات الأخلاقية لبيوتيقا ما بعد الإنسان

المطلب الأول: من الإنسانية إلى ما بعد الإنسانية:

إن بواكير هذه المرحلة ذات التأثير المتزايد والمتسارع بدأت تلوح في الأفق بفعل التقدم العلمي والتكنولوجي المتسارع ،والذي أصبح – وأكثر من أي وقت مضى– أكثر إثارة للقلق والمخاوف لدى الكثير من العلماء ورجال القانون ورجال الدين والفلاسفة، خاصة إذا تعلق الأمر بمستقبل الإنسان كإنسان أو علاقاته البينية مع غيره من البشر، ومدى تأثر هذه العلاقات بنتائج البحوث الكثيرة والمتنوعة والتي تمس حياة الإنسان كفرد أو جماعة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وما يزيد من شدة القلق والمخاوف هو طبيعة البحوث العلمية التي عرفتها التطبيقات البيوتكنولوجية، وما يحيط بها من السرية والتعقيد، ليجد الإنسان نفسه مجبرا على الخضوع لقوى أعتى منه يسيرها سماسرة السياسة والاقتصاد والمال، والتي بدورها ترسم معالم بحثه وكذا اتجاهاته.

هذا الوضع المتأزم الذي يعرفه الحقل البيوتكنولوجي يتابعه الكثير من رواد العلوم الإنسانية والعلوم الطبية بكثير من القلق والخوف، خاصة مشكلة إمكانية التأقلم والصمود مستقبلا أمام هذا المد العلمي الجارف، والذي يبدو وكأنه لا يحتد بحدود ولا يخضع لأي قيم كانت؛ طبيعية أو وضعية، ولا حتى عقدية خاصة في ظل الاهتمام المتزايد للدول بالاستثمار والاستفادة من التكنولوجيا المتقدمة، والانصراف عن البحث في المواضيع الفلسفية التقليدية، وخاصة وأن هذه الأخيرة قد تشكل عقبة إذا تعلق الأمر بالاستخدام المفرط للتقنية، كموضوع أزمة القيم؛ الأخلاقية، التربوية، الاجتماعية والجمالية،...، و غيرها من القيم التي يقوم عليها المجتمع الإنساني، وهوية الإنسان في حد ذاته.

إن هذا الواقع الجديد الذي عرفته التطبيقات البيوتكنولوجية جلب معه مفاهيم جديدة لعل أبرزها على الإطلاق؛ مفهوم "**ما بعد الإنسان**" أو "**ما بعد الإنسانية**"، والذي فرض نفسه كعنوان بارز للمرحلة القادمة (مرحلة ما بعد الإنسان)؛ نهاية الإنسان بمفهومه الحالي، وبداية عهد جديد للإنسانية، نوع آخر من الإنسان بماهية مغايرة وقيم جديدة تختلف عن القيم التقليدية، وربما مناقضة لها، والمفارقة هنا أنها من خلق وإبداع الإنسان في حد ذاته.

– **مفهوم ما بعد الإنسان:** ليس من اليسير إعطاء تعريف محدد وموضوعي لمصطلح "ما بعد الإنسانية"، والسب حداثة تشكل المصطلح وراهنيته، وكذا اختلاف الرؤى حول قضاياه، فضلا عن شموليته لكل التخصصات على اختلافها، وتداخله مع مصطلحات أخرى قريبة منه: (ما بعد الإنسانية)، (ما بعد البشرية)، (الإنسانية البعدية)، ولكن رغم هذا التعقيد الذي يلف المصطلح إلا أن أبرز الدلالات تتعلق بالرغبة الجامحة في استغلال التكنولوجيا بغرض تحسين النوع البشري، وشروط وجوده[1].

بموجب هذا المفهوم الجديد يجد الإنسان نفسه على أعتاب مرحلة جديدة أو بالأحرى ماهية وجوهر جديد للإنسان، ميلاد جديد للإنسان، أو كما يراها البعض من المفكرين نهاية مرحلة النزعة الإنسانية (Humanism) كمذهب عمَّرَ طويلا. والذي يعتبر الإنسان مركز الكون ومحركه الأول.

لقد أعطى التطور التقني للكائنات الحية المزيد من القدرة على التكيف وحفظ البقاء، خاصة إذا تعلق الأمر بالمزج بين القدرات الميكانيكية والبشرية، الأمر الذي حسم وكرّس تفوق الإنسان أكثر.

– التحديات الاستشرافية لبيوتيقا ما بعد الإنسان:

إن مصطلح "ما بعد الإنسان" وصل بين عدة أقطاب: التكنولوجيا، البيولوجيا، الحياة،...، وفي ذلك بروز شعاع المرحلة الجديدة التي سيعرفها الإنسان" ما بعد الإنسان" التي تزيح المفهوم التقليدي عن الإنسان وتجرده من المركزية التي تمتع بها لردح من الزمن، باعتبار النموذج الحالي للإنسان قد عفا عنه الزمن، وأضحى مجبرا على الانتقال إلى ما يعرف بالتكنو–إنسان(Technosapien) ، والذي همه الأول استخدام التكنولوجيا لتعزيز وتوسيع القدرات البشرية، وقد يطمح هذا الإنسان الجديد إلى تولي عملية الخلق بنفسه؛ ليصبح بذلك الإنسان الإله (HOMO–DEUS). وقد يحقق ال،سان بذلك كل أحلامه حتى المستحيلة منها، ولما تحقيق حلم جالجامش المتمثل في الخلود الأبدي، فالتطور التكنولوجي وضع المستحيل بالأمس أمام ناظري الإنسان وفي متناول تجسيده، خاصة في ظل مساعدة تلك المخلوقات فائقة الذكاء التي صنعها، و في ما يلي أهم القيم التي تواكب مرحلة ما بعد الإنسان:

[1] – رامي عبود: ديجيتولوجيا (الإنترنت، اقتصاد المعرفة، الثورة الصناعة الرابعة، المستقبل) العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2012، القاهرة ـ مصر، ص91.

• تجاوز الحدود الطبيعية التي تحكم الإنسان، وذلك بتجاوز قدراته البيولوجية والعقلية بواسطة التكنولوجيا المتطورة خصوصا في حقل الذكاء الاصطناعي، مع تبرير هذا التجاوز وتشريعه عقليا وأخلاقيا، فضلا عن الإشهار له بمختلف الوسائط الفنية، والتربوية، والواقع المعاش(جائحة كورونا كنموذج).

• إمكانية الاستعانة بالعقل الاصطناعي لتنمية الكفاءات والمهارات الإنسانية، وكذا جرد مختلف مخاطر التكنولوجيا على الإنسان، والاستثمار في ذلك لصالحه من أجل تحقيق طموحات الإنسان الجديد، والقائمة على ركيزتين هما: الرغبة في تطوير الوضع الإنساني وتغييره من الأساس، وذلك بالاستعانة بالتقنية لمواجهة مختلف اهتماماته؛ كالشيخوخة، الرفع من قدراته الجسمية والنفسية والعقلية إلى أقصى حد ممكن، هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ الاعتماد على التقنية لتخطي العوائق التي قد تحول دون تحقيق آماله المستقبلية.

• تنمية الإنسان لقدراته الذاتية، وعدم الانحصار في الإطار الضيق للنزعة الإنسانية، وذلك بتشجيع التفكير والبحث وخصوصا في مجال التكنولوجيا من أجل الانتقال لمرحلة "ما بعد الإنسان"[1].

• تحول الإنسان من دور العنصر المنفعل بما تؤديه الطبيعة – ليكون بذلك وجوده عرضيا– إلى دور العنصر الفعال والمحوري تخضع له الطبيعة و يشاركها –على الأقل– في تحركاتها، إذ يرى المفكر الأمريكي ميتشيو كاكو: (قد انتهى عصر العلم، وبدأت معالم عصر آخر تظهر، هو عصر ما بعد الإنسان أو السيبورغ (cybernetic organism) ،...، لقد ظللنا خلال مختلف التاريخ الإنساني نقف موقف المتفرج المنفعل على رقص الطبيعة الجميل، ولكننا اليوم على أعتاب عصر جديد نشارك بشكل إيجابي في تصميم رقصاتها)[2]، أي رقصة يتشارك في تصميمها الإنسان بمعية الطبيعة، وطبعا القرار بيد الإنسان، إنها رقصة السيبورغ.

• التحكم في آلية التطور الاصطناعي بفعل مباشر ومتعمد من جانب الإنسان ذاته بواسطة الطبيعة التكنولوجية الجامحة ذات الخطى المتسارعة، من خلال دمج الأعضاء التقنية في الكائن الحي.

---

[1] – عادل خميس الزهراني: ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانوية: مقدمة في المفاهيم والاتجاهات النقدية، مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية ـ ماليزيا، (المجلد25/العدد49)، 2021، ص 208.

[2] – ميتشيو كاكاو: رؤى مستقبلية، ترجمة: محمد يونس، عالم المعرفة، العدد (270)، 2001 ص ص 11–12.

• خضوع الإنسان مثله مثل بقية الكائنات الحية الأخرى(الحيوان، النبات) للتجارب المخبرية، بغرض تنويع وتحسين النوع، ولا يكون ذلك إلا بإعادة النظر في إنسانية الإنسان، ومن ذلك إلى وضع قوانين وقيم خاصة تتماشى وواقع الإنسان الجديد. تحقيقا للطرح النتشوي على لسان زرادشت: (أبدع نفسك بنفسك)، وبهذا يتم فك – ما سمته عالمة الأنتروبولوجيا الهولندية بربارة نوسكي (Barbara Noske) – التمركز حول الإنسان[1]، والمساواة بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية الأخرى، وهذا ما يتيح تغيير طبيعة الإنسان والدخول به إلى طور جديد يكون فيه الإنسان الفاعل الرئيس.

• العمل على تجاوز النقص والفتور البيولوجي والنفسي والذهني للإنسان، فضلا عن التحكم في قدرات الذات وتجاوزها، من أجل تحسين مستوى العيش وتحقيق التفوق المطلق (الإنسان الخارق ≡ السوبرمان) أو السيبورغ.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه علينا وبإلحاح هو: **من هو إنسان المستقبل؟ وكيف هو شكل إنسان المستقبل؟ ومل قدرات إنسان المستقبل؟** إنسان المستقبل الخارق والذي اصطلح على تسميته بالسيبورغ.

كثرت المحاولات حول إعطاء ماهية خاصة لإنسان المستقبل، والتي تراوحت بين الممكن وغير الممكن الذي يحاكي الأساطير والروايات الخيالية التي تتلاطم وأحلام الإنسان التقليدية، والذي لم يكن يوما في مقدوره أن يحققها، ولن يكون ذلك إلا إذا تحققت له إمكانات إنسان المستقبل "السيبورغ"، وخارج عن عمل الطبيعة بل من فعل الإنسان نفسه، وهذا ما تتيحه التطبيقات البيوتكنولوجية الراهنة، على غرار الاستنساخ ضمن مشروع الجينوم البشري.

إن تقنية الاستنساخ التكاثري أو مشروع الجينوم البشري يفتح الباب على مصراعيه أمام تطبيقات أخرى تتيح إمكانية تحقيق مشروع إنسان المستقبل، ولعل من أبرز وأخطر هذه التطبيقات؛ التوالد اللا جنسي، وهو بديل للتوالد الطبيعي بين الذكور والإناث، بل يمكن أن يتم التوالد بين خلايا المخلوق الجسدية لا الجنسية[2]، حيث يكون المستنسخ مطابقا وراثيا للمستنسخ منه أو النسخة الأصل، وهذا ما يعمل رواد الهندسة الوراثية على تحقيقه على الإنسان (الاستنساخ البشري)، ليصبح الجين مفتاح الخارطة الوراثية،

[1] – عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، قسم الفلسفة المعاصرة، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2013، ص194.

[2] – عبد المحسن صالح: التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان، مطابع دار القبس الكويت، ط2، 1984، ص 49.

الأمر الذي سيسمح –إذا ما تحقق– باختيار الذرية بالمواصفات التي نريد من جمال، ذكاء،...، وفي هذا تحوير جذري لماهية الإنسان ككل.

إن التطورات البيوتكنولوجية التي عرفها الحقل البيو–طبي قد قلصت المسافة بين المادي والعضوي، الجامد والحي، أو قل قد وصلت بينهما، الأمر الذي تجسد في نوع من التهجين بين الإنسان والآلة نتج عنه كائن جديد في صورة الإنسان الخارق أوالسيبورغ، الكلمة التي تعني حرفيا كائن حي مهجن من الآلة والأعضاء الحية، والذي يعتبر إشارة عن بزوغ فجر "ما بعد الإنسان"، تحاكي فيه الروبوتات البشر، أو بشر يشبهون الروبوتات.

إن الماهية المرتقبة للإنسان قائمة على الإمكانات التي توفرها التقنية للإنسان لتطوير نفسه بما يسمح له اكتساب قوى ذاتية أكثر ضراوة أمام معيقات التكيف الطبيعية، والتي لم يكن في مقدوره سابقا إخضاعها وترويضها لصالحه. إذ تسمح هذه التقنيات للأفراد بتطبيق بوسائلهم الخاصة أو بمساعدة الآخرين، عدد معين من العمليات على أجسامهم وأرواحهم وأفكارهم وسلوكهم وطريقة وجودهم، وذلك لتحويل أنفسهم من أجل بلوغ حالة معينة من السعادة والنقاء والحكمة والكمال، أو الخلود[1].

لقد كان مفهوم "ما بعد الإنسان" من الجسور التي اتخذت منها الحركة النسوية مدخلا للتعبير عن أفكارها والدفع بها إلى الأوساط العامة وكذا الخاصة، وكذا المطالبة بحقوقها المزعومة من وراء ذلك، ما دام أن هذا المفهوم يردم الهوة بين الإنسان الكائنات الحية الأخرى فما بالك بين الإنسان والإنسان في حد ذاته(الذكر والأنثى)، (الرجال والنساء)، فالسيبورغ يحرر المرأة من الغيرية أو أن تكون غير الإنسان كما يحررها من النظرة –حسب رواد الحركة النسوية– الدونية من الرجل إلى المرأة، أو حتى نظرة المجتمع إليها، لكي تتمكن من التحرر من براثن الفكر التقليدي الجائر في حق المرأة(حسب مزاعم الحركة النسوية وحتى المثليين).

أن مجال "ما بعد الإنسان" يعطي الإنسان إمكانية تزويد ذاته بتطبيقات تحاكي التطبيقات الموجودة بهواتفنا النقالة، رغبة في تحقيق المزيد من الكفاءة والاستمتاع أكثر بالعالم من حولنا، وتحقيق مزيد من القدرات وتجاوز تلك العوائق الجسدية والذهنية؛ كالإعاقات والتشوهات الخلقية أو حتى تلك التي أحدثتها

[1] – أماني أبو رحمة: فوكو الأخلاقيات وتكنولوجيا الذات، اطلع عليه يوم 2023/07/09، 17:56.
الرابط:http://amaniaburahma.blogspot.com/2017/07/blog-post_13.html

الأمراض والإصابات ، ومنح الجسم أو الدماغ كفاءات عالية، وذلك بفضل التطعيم أو إضافة أعضاء اصطناعية، أو زرع أعضاء بديلة لتلك الأعضاء التي فقدت وظيفيتها أو تلفت بسبب إصابة ما. بل ويتجاوز الاستشراف في هذا الموضوع إلى إمكانية حلول الروبوتات محل البشر.

2- قيم ما بعد الإنسان:

لابد أن مستوى التطبيقات البيوتكنولوجية كان عالي جدا، متجاوزا كل التوقعات مؤيدة كانت أو معارضة، الوضع الذي ولد موجات عارمة من الردود في شكل أسئلة كثيرة من قبل أكثر من قطاع، ولعل أبرزها: ما انعكاسات هذه التطبيقات إذا أصبحت واقعا في حياة البشر، وهل سترضي فضول الإنسان، أم أنها ستحمل معها مفاجآت مخيبة لآماله وتطلعاته النفسية والاجتماعية، والأنثروبولوجية، ...إلخ ؟ كيف سيكون رد فعل الإنسان كفرد أو مجتمع على هذه التطبيقات؟ يتقبلها أم يرفضها؟ ألا يمكن أن تكون هذه المشاريع مؤذية للإنسان في جسده؟ في روحه؟ في فكره؟ في أخلاقه؟ في قيمه الأخلاقية ككل؟ هل سيبقى الإنسان مكتوف الأيدي ويحاول التأقلم مع هذه التحولات أم أنه يعمل على تهذيبها بما يتماشى ومصالحه وقيمه؟ ما النظرة التي من المحتمل أن تعلو محيانا؟ التفاؤل أم التشاؤم؟

بعيدا عن التفاؤل يرى معارضي مشروع الجينوم البشري بخطورة هذا الأخير، ونلمس هذه الخطورة في علم الاستنساخ يجرد الإنسان من ملكيته لجسده، ليبقى تحت رحمة الشركات العالمية وسماسرة السياسة وأرباب المال والأعمال التي تسعى جاهدة لامتلاك الجينوم البشري واحتكاره والتحكم فيه بشتى الطرق والوسائل بغية السمسرة به، وهذا لا يصب لا في صالح العلم، ولا المجتمع، كما الاستنساخ يعد تهديد حقيقي للعرى الأساسية للنسيج الاجتماعي؛ كالأسرة، الزواج، الوالدية ، الأمومة، الأبوة، وفي ذلك إعلان عن صريح عن نفوق الأسرة بمفهومها التقليدي إذا كان لها مفهوم جديد يتماشى ومرحلة "ما بعد الإنسان"

لأنه إذا حدث ذلك فلن نكون بحاجة إلى الأب أو الأم بقدر حاجتنا إلى مؤسسات كبرى مهمتها رعاية النسخ التي تم إنماؤها صناعيا، والتي لا تتطلب بطبيعة الحال النشوء في جو عائلي بالمفهوم التقليدي(الحالي)[1]

[1] – ناهد البقصمي: الهندسة الوراثية والأخلاق، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993، ص211.

موقف الفلسفة من قيم ما بعد الإنسان:

1- فلاسفة ما بعد الإنسانية:

إن الدور الذي يقوم به الفلاسفة في ممارسة النشاط البيوتيقي، عمل كافي لمعرفة هدف أو التنبؤ أو التطلع نحو غايات البيوتيقا المستقبلية، إذ أنها في البدايات لم تكن واضحة لأنها كانت أخرجت من بيئة تضاربت حولها الآراء الدينية بشكل كبير.حيث ذهب "**دانيال كالاهان**" عام 1993 إلى القول: "أول شيء يجب على كل شخص يشارك في البيوتيقا هو وضع الدين جانبا"[1]، هذا ما يُظهِر جليا وبشكل بارز التباين الملحوظ بين البيوتيقا والدين ومنه فإن الحل لا يقتصر فقط على الأخلاقيين، الحقوقيين، المشرعين، ولا حتى البيولوجيا ذاتها، حيث يقول "فرانسوا داغوني" "أننا نعتقد بالفعل أن في استطاعة الفيلسوف أن يأخذ هذا الدور،حتى يمزق هذه الذراع وسعيد النضر في نتائج هذه التطبيقات"[2]

الكثير من الفلاسفة يحاولون وبإصرار القيام بردع أو وضع حدود تعيق وصول هذه المشاريع الخطيرة وتطبيقها على أرض الواقع، والعمل إلى خلق "فلسفة بيولوجية،في صميم البيولوجيا ذاتها"، يقول "داغوني" (يوم دخلت البيولوجيا حرم الحياة أصبحت تثير تساؤلات أخلاقية، فالمشكلة الأخلاقية توجد تماما في قلب البيولوجيا المعاصرة)[3]، ومنه فإن هذه القول ينادي وبشكل صريح إلى إقامة "ضوابط أخلاقية"تنظم عمل البيولوجيا، وبهذا يكون عملنا اليوم هو إقامة مصطلح جديد للبيوتيقا وهو "الفلسفة البيولوجية"

ومنه فإن هذه التغيرات التي حدثت اليوم في ميدان علوم الطب أدت إلى إعادة بعث الفكر الفلسفي، ومنه أصبح لها الدور البارز في المجتمع، مثلها مثل العلوم الأخرى، حتى صار الوقت الحالي يعرف بقرن "الأخلاق العملية"، طرحتها طبيعة الحياة الإنسانية التي أصبح اليوم يعيشها والأزمات الحادة التي يعيشها، والتي لم يلقى لها حلا إلا من خلال الفكر الفلسفي.

---

[1] www.aljabriabed.net/n40_03bufta.htm – عمر بوفتاس: موقع البيوتيقا، في إطار المعرفة ، الرابط: اطلع عليه يوم 2023/07/09، 12:47 am.

[2] – نقلا عن البيوتيقا والمهمة الفلسفية، أخلاقيات البيولوجيا ورهانات التقنية، ص 169.

[3] – نقلا عن البيوتيقا والمهمة الفلسفية، أخلاقيات البيولوجيا ورهانات التقنية، ص 169.

بالرغم من أن أخلاقيات الطب والبيولوجيا ضلت حريصة أو يقضه على حدوث أي انقلابات أو حدوث أي اختلالات على مستوى التقنيات، إلا أنهم لم يتخلوا من النقد اللاذع من زاوية ما حققته من نتائج إيجابية في ميدان التقنيات، والتي ساعدت الكثير من الأشخاص، وأعادت لهم الأمل، والتصور لحياة مثلى، يسيرة،سهلة، تساعد على تحقيق جميع الرغبات التي يطمحون إليها، وهي ما تسعى إليه كل المذاهب وخاصة الفلسفة وهي "تحقيق السعادة" الازدهار، الرفاهية، لكن مع هذا التطور الهائل الذي أدى إلى خلق فجوة، أو بمعنى آخر حدوث تفاوت بين العلوم والتفكير الزائد، مما يجعلنا نتردد أمام كل هذه المحاسن التي تقدمها في حين أنها سلاح يحاول القضاء،أو يهدد الإنسانية[1].

السؤال الذي يطرح نفسه في هذه الأوضاع المتأزمة: هل يبقى لعلم الاجتماع الأسرى أي مبرر لوجوده؟ وكذلك الحال بالنسبة لعلم نفس الطفل؟ وغير ذلك من الفروع الأخرى، هذا الوضع يتطلب وبإلحاح تدخل الفلسفة وبمختلف تياراتها، وذلك لقول كلمتها واتخاذ موقف من الوضع الذي أرّق الفكر الإنساني ولا يزال، وهو الدور الذي طالما عهدناه عليها، وعلى هذا الأساس انقسم الفلاسفة إلى فريقين؛ فريق متفائل مؤيد، وفريق متشائم ومعارض لما ستؤول إليه الأوضاع إذا استمر الحال على هذه الشاكلة، ومن هؤلاء نجد:

1- فرانيس فوكوياما: Francis Fukuyama(1952-)

لقد عرف عصر فوكوياما ب"الأسلحة الذرية" وكل ما هو متعلق بتطور التكنولوجيا، الذي شكل بعدا خطيرا، والتي كانت تحت سلطة قوانين صارمة منذ بداية الإعلان عن مشروع "مانهاتن"من ابتكار القنبلة الذرية، حيث يقول "**بيل جيني**": "بالانزعاج من التكنولوجيا وهذه الآلات، تبنى بمقاييس جزئية يمكن نسخ نفسها وأن تكاثر نفسها دون رابط"، لتقوم بالقضاء على مخترعها، ولكن ليس كلها لها نفس الضرر أو القدرة الكاملة على الدمار، فمثل هذه التكنولوجيات لها انعكاسات على الجنس البشري تتمثل في ظهور: فيروسات جديدة، أو وجود أغذية معدلة وراثيا أو جينيا تكون لها آثار جانبية على حياة البشر[2].

---

[1] – نقلا عن:البيوتيقا والمهمة الفلسفة: أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، علي عبود المحمدواي، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، لبنان، بيروت، ط1، ص169.

[2] – فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان، عواقب الثورة التكنولوجية، تر:أحمد مستجير، إصدارات: سطور، مكتبة: علي المولا، ط1، ص23.

ظهور **جيل** يكون مصدر غذائه "العقاقير": حيث توصّل علماء النفس أن ما يحدث على مستوى تطور العقاقير هو أن "شخصية الإنسان تصبح أكثر مرونة"(تصبح قابلة للتمدد)، ومن المعلوم أن العقاقير هي التي تقوم بحدوث تفاعلات على مستوى العقل من أمثال:البرودة والريتالين، التي لها انعكاسات على خصائص وسلوكيات البشر مثل: فقدان الذات، ضعف في القدرة على التركيز، ولها أيضا جوانب أخرى تتمثل في فرض سلوكيات غير مرغوب بها ومن الصعب التخلص منها مثل: الإدمان، الاكتئاب، العزلة، والانطواء.

أما **الجيل الثاني:** فيقوم على أساس تطور في عمليات "الخلايا الجذعية"، التطور الذي مكَّن العلماء من التعرف على كل أنسجة الجسم مما سمح التنبؤ بعمر الفرد الذي من الممكن أي يصل إليه، وهو سن المائة ""100 أو يفوق ذلك، فإذا كنت في أمسِّ الحاجة إلى عضو جديد مثل: "القلب، الكبد" أصبح بالإمكان اليوم إصلاح ما يحدث على مستوى المخ مثل :حدوث خلل في التلافيف، إصابة القشرة المخية، الزهايمر.

يقوم الأثرياء بإحصاء الأجنة قبل أن تزرع في الرحم، كي يقومون بإنجاب أطفال مكتملي الصفات والخصائص والمزايا(مثاليين بمعنى الكلمة)، وأصبح بالإمكان التنبؤ بأكثر من ذلك فهي تساعد على معرفة الشخص وذالك من خلال:تغيرات التي تحدث على مستوى الوجه (صفات بيولوجية)، قدرة عالية من الذكاء، هذه التجارب التي لم تقتصر على البشر بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حتى طبّقوها على الحيوان، وحتى النبات من أجل الحصول منتجات ذات جودة وقيمة عالية[1].

كتب المفكر"**توماس جيفرسون**"* قبل وفاته"إن الانتشار الواسع لضوء العلم قد بيَّن أن الحقيقة واضحة أمام كل عين:إن الجماهير الغفيرة من الناس لم تولد على ظهر كل منهم سرج، لا ولم تولد القلة المميزة، وفي قدم كل منهم حذاء طويل الرقبة ومهماز، متأهبين شرعا–بفضل الله –لركوب لآخرين"

---

[1] 23 – فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان، عواقب الثورة التكنولوجية، المرجع السابق،ص

* توماس جيفرسون: Thomas jefferson– الكاتب والمؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية، أحد الآباء (1743–1826) الرئيسي لإعلان الاستقلال(1776) ،وثالث رئيس للولايات المتحدة الأمريكية(1801–1809) كان متحدثا باسم الديمقراطية، نادى بمبادئ الجمهورية وحقوق الإنسان، وكان له تأثير عالمي.

إن عملية التغيير التي حدثت منذ عقدين: ليس من الإجبار أن نلزم أنفسنا بالعودة إلى "يوجينيا" تقوم الدولة بالاحتفاظ بها والتلاعب بها، حيث عرفت الهندسة الوراثية انتشارا واسعا لمعرفة أهم النتائج التي تثيرها، حيث أهم انعكاسات "علم العقاقير"ظهور ما يعرف عقاقير"البرونزاك" التي تسبب الاكتئاب، و"الريتالين" التي تقوم بضبط سلوك الأطفال[1].

يذهب "فوكوياما"إلى عرض محتويات كتابه "نهاية الإنسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية" الذي يحتوي على ثلاث فصول:الفصل الأول:يتحدث فيه عن الطرق أو الوسائل التي تؤدي بنا إلى المستقبل، وأيضا الآثار الناجمة عن هذه التحولات، أما المراحل الأخرى: عن كيفية تطور علوم الدماغ والجذور التاريخية ليوجنييا سلوكيات الإنسان: علم العقاقير، علم الأعصاب، السلوك، وتقنيات إطالة العمر، وفي الأخير يتطرق إلى الهندسة الوراثية وما تخلفه من محاسن و سلبيات التي قد تنجم عنها.

إن التطور الحاصل جرّاء "بيوتكنولوجيا" ولَّد نقاشات حادة وخطيرة خاصة تلك الثورات السياسية منها ومن بين القضايا التي أحدثت صراعا حادا حول "مشروع الجينوم البشري، ومشكلة "التمييز الوراثي" أو ما يعرف ب "التطهير الوراثي"، والمشاكل التي طرحتها البيوتكنولوجيا ليس فقط أخلاقيا، بل تعدت أبعد من ذلك إلى أن وصلت ما يعرف بالبعد السياسي و القانوني، و فتحت نافذة من نوافذ التنبؤ بالمستقبل.

إن الانطلاقة الأولى نحو المستقبل ليست مرتبطة بالتكنولوجيا وإنما بتطور مختلف المعارف والعلوم وخاصة المتعلقة بعلم الوراثة والسلوك، وإن الايجابيات المنتظرة عن "الجينوم البشري" ليس لها علاقة أبدا بالهندسة الوراثية، وإنما بفضل "اليوجينيا"،ويقصد بها فهم السلوك الذي يطرأ على الجينات.... ومن أهم غايات "اليوجينيا" هو صنع دواء يكون موافقا لنفس الخلايا الوراثية، حتى يمكن تقليص نسبة التعرض للأمراض، أما في مجال النبات فتؤدي إلى ظهور منتجات جديدة.

تعتبر فكرة ربط الجينات بالسلوك فكرة ساعدت بالتنبؤ بظهور ما يعرف "الجينوم البشري"، وعند التعرض للبيولوجيا يمكننا الحديث عن ظهور الهندسة الوراثية، إن ما نشهده اليوم ليست فترة عادية وإنما هي ثورة

[1] – فرنسيس فوكوياما: نهاية الإنسان، عواقب الثورة التكنولوجية، تر:أحمد مستجير، مكتبة علي المولا، إصدارات سطور، ط1، 2002، ص 4-42.

علمية بسيطة، وإنما ثورة علمية هائلة تتعلق بمستقبل الإنسان.و فيم يلي أبرز مواقف فوكوياما من التطبيقات البيوتكنولوجية:

- تلاشي دور الدين كمرجع يجب الأخذ به في القضايا الاجتماعية ذات الاهتمام الشمولي، بمبرر العيش في "عالم جديد شجاع"، وهو ما نجده في تصريحه: (لم يعد هناك من يأخذ الدين مأخذ الجد).

- تلاشي دور الأسرة والعائلة ومختلف القيم الأخلاقية المرتبة بها، بسبب تلك الممارسات اللا قيمية للبيوتكنولوجيا كتحديد النسل وتوجيهه، التلقيح الاصطناعي، الاستنساخ البشري، ومعها ألغيت مفاهيم مرتبطة بها كالأمومة والأبوة والوالدية،....

- تجريد الإنسان من إنسانيته والعبث بكرامته، وانتهاك حرمه جسده بسبب التجارب التي خضع لها دون الأخذ حتى بموافقته الواعية في ذلك، وهذا ما نلمسه في قوله: (لقد الصفات التي تضفي علينا الجلال، جلال البشرية، والحق أن لم يعد ما يسمى السلالة البشرية)[1]. وتجريد الإنسان من إنسانيته يُغَيِّبُ عنه أي رد فعل بشأن ذلك، لأنه بذلك قطع الصلة بماهيته القديمة أو بالأحرى التقليدية، ليتملكهم الرضا بواقعهم الجديد رغم سوداويته، (هم في الحق سعداء سعادة الرقيق)[2]، هذا الواقع الجديد يصفه فوكوياما على أنه أخطر ما تهددنا به البيوتكنولوجيا؛ أي احتمال تغيير الطبيعة البشرية، والذي ستكون له عواقب وخيمة.

- إن تطبيقات البيوتكنولوجيا قد تكون لها مضار جمة؛ من خلال بكتيريا مؤذية أو فيروسات جديدة ليس في مقدور الطب الإحاطة بها ولا التحكم فيها، أو أغذية محورة وراثيا تسبب تفاعلات سامة.

- إذا كانت البيوتكنولوجيا قد تضمن للإنسان حياة أطول، لكن ذلك قد يكون على حساب قدرات ذهنية منقوصة بسبب مختلف العقاقير التي يدمن الجسد البشري عليها بشكل أو بآخر، فلقد أثبت علم العقاقير مرونة الشخصية الإنسانية، وبالتالي إمكانية التحكم فيها وترويضها كما يجب، الأمر الذي يؤدي إلى إخراجها عن طبيعتها الإنسانية.

- البيوتكنولوجيا تعطي الأثرياء ما لا تعطي للفقراء، إذ بإمكان الأثرياء وسماسرة السياسة الاستثمار وبشكل سيء في المجال، كأن يقوموا بفرز الأجنة قبل عملية الزرع في الرحم(تحديد النسل)، مما يتيح

[1] – فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان، عواقب الثورة التكنولوجية، المرجع نفسه، ص 30.

[2] – فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان، عواقب الثورة التكنولوجية، المرجع نفسه، ص 29.

للآباء الأثرياء مثلا تحديد نسل أبنائهم واختيار صفاتهم الوراثية بغية بلوغ الكمال الجسدي والذهني للأبناء، وإذا لم يتحقق ذلك فإن اللوم يقع كاملا على الخيارات السيئة لوالديه.

- تقليص الهوة بين مختلف الكائنات الحية من خلال نقل مختلف الجينات الوراثية من وإلى الإنسان مع مختلف الحيوانات، وذلك لأغراض بحثية، مما يسقط من قدسية الإنسان وكرامته أمام الحيوان.

وهنا يطرح فوكوياما سؤالا في الصميم: ما الذي يجب أن نقوم به إزاء البيوتكنولوجيا التي ستمزج في المستقبل المزايا المحتملة الهائلة بتهديدات قد تكون بدنية وواضحة أو روحية وخفية؟

يجيب فوكوياما بوجود حلين رئيسيين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر، أما الأول فيتمثل في:

– ضرورة اللجوء إلى سلطة الدولة لتنظيمها، وإذا ما اتضح أن هذا يفوق قدرتها بمفردها، فلابد أن يتم ذلك على المستوى الدولي.

– ضرورة التفكير المسبق وبشكل واقعي في طريقة ناجعة نقيم بها مؤسسات قادرة على التمييز بين الاستخدام الطيب والاستخدام الخبيث للبيوتكنولوجيا، مع سن قوانين وطنية وكذا دولية لتأطير عمل هذه المؤسسات ونجاعته، حيث يقول: (سنحتاج عاجلا إلى توجيه عملي أكثر بشأن الطريقة التي يمكن بها أن نوجه التطويرات في المستقبل، بحيث تظل التكنولوجيا خادما للإنسان لا سيدا له)[1].

يرى فوكوياما أنه من المستبعد أن نعطي الحرية المطلقة للبيوتكنولوجيا، كما لا يمكننا طبعا حظر بحوث مفيدة وواعدة ، فإنه من الواجب علينا البحث عاجلا عن حل وسط ننظم من خلاله التطبيقات البيوتكنواوجية، كما بين أن خطورة بعض الأبحاث والتطبيقات البيوتكنولوجية يستوجب التدخل العاجل والصارم وطنيا ودوليا، وذكر –على سبيل المثال لا الحصر– التجارة غير المنظمة وربما غير مقننة في مجال الأحياء، أو التجريب على البشر دون الأخذ بموافقتهم الواعية.

ثمة قول شائع "إنه من المستحيل أن نتفق حول التقدم التكنولوجي حتى ولو رغبنا في ذلك."لأن هذه الرؤية هي التي سوف تخلق الفوضى والمشاكل بين الأمم، إذ أن الولايات المتحدة الأمريكية أو أي دولة تقوم بإلغاء فكرة الإنسان أو هندسة الخط الجيني، فهي إذا أقدمت على نتائج إيجابية فإن دولة ما سوف تقوم بتجربتها على شعبها، وحيث سمحت أو دعت إلى رفع التحدي والمناقشة والبحث في المجال البيو–

[1]– فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان، عواقب الثورة التكنولوجية، المرجع نفسه، ص 35.

طبي، حيث تتعهد الدولة التي تقوم بالوقوف في وجهها والتصدي لها فإنها تقوم بفرض إجراءات ردعية صارمة وتصرفات لا أخلاقية أمام هذه المجتمعات.

2- يورغن هابرماس:

من جهته يرى الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني يورغن هابرماس أن مشروع الجينوم البشري وإيديولوجياته الليبرالية تمس قضية جوهرية تشكل نقطة التقاء العلوم الإنسانية على اختلافها، ألا وهي (هوية الإنسان) بمختلف مقوماتها الجوهرية: الحرية، الكرامة الإنسانية والمساواة، كما أنه يرفض بشكل قاطع تحسين النسل، فالتعديل الجيني للطفل ليس هدفه الإصلاح والمعالجة، بل هدفه الرفع من مستوى القدرات الوراثية الأصلية[1]، وعدم تحقيق ذلك يعود بالدرجة الأولى للاختيارات السيئة لوالديه، فأي حرية يتمتع بها هذا الطفل وهو موجه جينيا من طرف والديه، ما يجعله عرضة للتلاعب والبرمجة حسب أذواق والديه وأهوائهم الذاتية وإن كانت نواياهم حسنة ونزيهة، مع أن هذه البرمجة لا تقتصر على التوجيه الجيني فقط بل وحتى التوجيه التربوي والأخلاقي من خلال مختلف القيم والمعايير الأخلاقية والسياسية والفكرية التي سترافقهم طول حياتهم.

لا يرفض هابرماس جميع البرمجات الجينية، إذ يستثني الحالات العلاجية التي غايتها القضاء على المرض قبل حدوثه، لأن تجنب الأمراض أمر معقول لا يختلف حوله اثنان، حيث يقول: (أعتقد أننا يجب أن نتعامل مع الصحة أو تجنب الأمراض كفكرة تنظيمية)، ولا يحق لأي كان التقرير عوضا عن الآخرين بما يتماشى وتفضيلاته وميولاته الشخصية.

يرفض هابرماس أن تكون الهندسة الوراثية كبديل للهندسة الاجتماعية، وإن كانت هذه الأخيرة نسبية إلا أنها قابلة للتصحيح والتعديل والنقد على عكس الثانية التي تعتبر نهائية لا رجعة فيها وإن كانت سيئة، ومن هنا يقر بعدم قابلية التلاعب بالفرد الإنساني، واصفا ذلك بالإنساني والأخلاقي والتي تتلخص في حقوق يضمنها الحق والقانون، ولا يمكن أن نتخذه وسيلة للتجريب، والرهان هنا –حسبه– أخلاقي بالدرجة الأولى، ملقى على عاتق الفلاسفة الذين من واجبهم قيما معيارية و قواعد أخلاقية تأطر هذا الميدان(أخلقة التطبيقات البيوتكنولوجية)، والتي ترتبط مباشرة بمستقبل الإنسان.

---

[1] يورغين هابرماس : – مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، المكتبة الشرقية، ترجمة جورج كتورة، بيروت ـ لبنان، ط1، 2006.

إن البيوتكنولوجيا فرضت على الإنسان تحديات كبيرة خاصة مشروع الجينوم البشري الذي قد لا يتماشى وتصوراتنا وحقوقنا، كالحرية والمسؤولية والمساواة التي تكفلها المجتمعات الليبرالية.

3- هانس جوناس(1903- 1933) Hans Jonas

يرى هانس جوناس أن الحق في الحياة أو الحق في السعادة هو من بين الحقوق الطبيعة التي تولد مع الإنسان ويتمتع بها منذ طفولته إلى نهاية حياته، وهي في نفس الوقت تمثل الحقوق القانونية، لكن الحق في الموت الرحيم،هو موضوع جديد ظهر بظهور التطورات الحاصلة في ميدان "الطب"، والذي مثل ولا يزال يمثل الموت، والذي يخلص الشخص من الألم والضرر الذي يعاني منه، ومنه صار اليوم الحديث عن الموت الرحيم (الموت السهل،الموت المريح).

- يذهب "يوناس" إلى أن الحق في التمتع بالحياة ينطلق من خلال تقديم اللقاح لكافة الأفراد المصابين ليحد من ظاهرة الانتحار، وعدم القدرة على مواجهة الموت، أي ترك المريض يموت دون تقديم العلاج له وهذا ما يعتبره "جوناس" الحق في الموت الرحيم، حيث يرى أنه من الواجب أن يكون مقال يجوز التصرف فيه على الإطلاق مثل"الحق في الحياة، إذ أنه لا يوجد أي قانون أو ديانة أو مؤسسة تدعو إلى منع تقديم العلاج المناسب للمريض وعدم الاهتمام به ، ومنه فإن مسألة الموت تدخل ضمن نطاق مسؤولية الشخص[1]، ولقد بين "جوناس" موقفه من هذا الفعل حيث أكد أنه لا يوجد أي دافع أو رغبة أو حق يجبر المريض قبول العلاج أو رفضه.

_كما يرى "جوناس" أن أدوات تخفيف الضرر عند الشخص المصاب هي نفسها التي تؤدي إلى الموت ومن هنا وجب تحديد من هو صاحب القرار عندما يكون الشخص في حالة حرجة، أي لا يكون في منتهى قواه العقلية، ومن هنا يتبادر إلى أذهننا سؤال حول من يتخذ القرار؟ هل هو الطبيب الذي يقوم بالموافقة على شفاء المريض؟ أم مجموعة من الأطباء؟ أم أهل المريض؟ في إعطاء اللقاح أو العلاج في الوقت المناسب، للتخلص من الضرر والألم ؛ سؤال يثير نقاشا حادا بين المفكرين، أي أنه صنع جدلا واسعا في الوسط الطبي.

[1] 02 - زهية العايب:الأخلاق الحميدة لمستقبل الإنسانية لهانس يوناس، رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة قسنطينة ، ص ص(58- 59).2016.

– يذهب "جوناس" إلى بيان موقفه في الحق بالحياة للشخص المصاب وذلك من خلال فرض العلاج وتوفير اللقاح لتفادي الموت، وعدم الضغط على المريض بوسائل اصطناعية قد تجلب له الألم الشديد.وتزيد من وتيرة الألم، حيث يقول في هذا الصدد "أرفض؛ ذلك ليس شفقة ورحمة ولكن مراعاة لكرامة الإنسان[1].

[1]– Hans Jonas: une ettique pour La Nature traet coutine dexiece de bronier Paris, 2000, p 60.

خاتمة:

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث ارتأينا عرض النتائج والمفاهيم الأساسية للبيوتيقا ومفهوم ما بعد الإنسان والتي تمثلت في:

– تصدر التجريب قائمة معايير الحقيقة العلمية في مطلع العشرين، وخاصة في مجال الحياة والطبيعة.

– أسهمت الثورة البيولوجية التي عرفها القرن العشرين في إيقاد ثورة بيو–طبية كشفت عن الخبايا الوراثية للكائن الحي، الأمر الذي فتح المجال أمام إمكانية التحكم في جيناته ومستقبله.

– التحولات البيو–طبية قلبت حياة الإنسان رأسا على عقب خاصة بعد تقديمها أمالا وأحلاما ملؤها السعادة والرفاهية في غياب الأمراض الخبيثة والمستعصية التي تنغص حياته.

– كان للتحولات البيو–طبية عدة مظاهر، منها الإيجابية ومنها السلبية خاصة في مجال الهندسة الوراثية ولعل من أبرز هذه المظاهر: الإنجاب الاصطناعي، الاستنساخ البشري، الموت الرحيم وتحديد النسل.

– صيرورة الإنسان إلى قاعة المختبرات للتجريب عليه، أين تعرض جسده لجملة من الانتهاكات اللاأخلاقية، والتي أحدثت بدورها جدلا واسعا في الأوساط الفلسفية والقانونية والشرعية.

– زوال واضمحلال العديد من المفاهيم التقليدية بسبب الهندسة الوراثية وتقنياتها، ومن لأبرز هذه المفاهيم؛ الوالدية، الأمومة،..، والكثير من الحقوق المرتبطة بها.

– إمكانية تحديد جنس الولد مسبقا أحدثت تصدعا في مفهوم الإنسان خاصة في موضوع المفاضلة بين الجنسين (الذكر والأنثى)، أو حتى التمييز العنصري بينهما.

– أحدثت إشكالية الاستنساخ البشري نقطة انعطاف في مسار الإنسان وجوهره، حيث أصبح صلب اهتمامه منصب نحو جمالية الجسد بدل السرحان في عالمه العقلي والروحي كما كان عليه الحال من قبل.

– أدت مسألة الموت الرحيم إلى قتل كل معاني الأمل والإرادة الإنسانية ليحل محلها اليأس والإحباط والاستسلام للمرض وآلامه، كما وأدت مهنة الطب وأزاحت نبلها، حيث شوهت مهنة الطب وسفهت الأطباء وجردتهم إنسانيتهم بالدرجة الأولى.

– لقد كان للتطورات البيوتكنولوجية عدة مظاهر منها تنظيم النسل وتحديده، الاستنساخ البشري، التلقيح الاصطناعي الموت الرحيم، الجينوم البشري، زراعة وتعويض الأعضاء البشرية.

– تقويض العديد من الحالات الطبية المستعصية وعلى رأسها العقم، وذلك عن طريق ابتكار ما يعرف بطريقة "أطفال الأنابيب" أو التلقيح الاصطناعي.

– معرفة الجينوم البشري تمكن مسبقا من التنبؤ بالأمراض الخطيرة ومسبباتها الوراثية، مما يسمح بإمكانية تحديد العلاج اللازم و القضاء على المرض حتى قبل ظهوره.

– جاءت البيوتيقا لتشد لجام البيو–تكنولوجيا– خاصة الطب– وتؤطرها أخلاقيا.

– البيوتيقا فكر أخلاقي جديد حاولت من خلالها الفلسفة إعادة التموقع وسط التحولات العلمية التي شهدها النصف الثاني من القرن العشرين، لتلعب دور الضابط الأخلاقي للتجاوزات العلمية.

– البيوتيقا وجه جديد للفلسفة مهمته الدفاع عن الإنسان ومختلف حقوقه كالحرية، الكرامة، الإرادة،...

– التحولات البيو–طبية تولد عنها مفهوم "ما بعد الإنسان" الذي غُيِّبَ فيه كل ما هو إنساني.

– تعتبر البيوتيقا نقطة تقاطع جديدة بين الفلسفة والعلم، والتي أبرزت دور الفلسفة والعلماء في رسم السياج الأخلاقي الذي يحيط البحث العلمي في مجال الإنسان.

– حلول "البيوتيقا" كفلسفة محل "العلوم الإنسانية" التي أعلنت انسحابها في مهمة الدفاع عن الإنسان والإنسانية في وجه التجاوزات البيوتكنولوجية الجديدة، وبالتالي تموضع جديد للفلسفة في خضم هذه التطورات؛ أي الضابط الأخلاقي لتمرد العلم.

– ميلاد البيوتيقا كان كرد فعل عن التدخل السافر واللاأخلاقي في الشخصية الإنسانية، ومحاولة خلق مساءلة حوا مشروعية هذه الانتهاكات للجسد البشري.

– ضرورة تعزيز البيوتيقا بالتشريعات القانونية، ذلك أن البيوتيقا بلا قانون لا تعدو أن تكون سوى شطحات روحية لا قيمة لها.

وبالتالي فالبيوتيقا جاءت كرسكلة للقيم الأخلاقية، ونقلها من صورتها التقليدية الباحثة عن ما يجب أن يكون، إلى صورتها الجديدة الباحثة عن التلاؤم مع الواقع التطبيقي للإنسان ومختلف مشاكله الوجودية المرتبطة بجانبه البيولوجي، والهدف هو التأطير الأخلاقي للأبحاث العلمية في مجال الطب، ومحاولة خلق توازن بين حرية البحث العلمي من جهة وحقوق الإنسان من جهة أخرى، أو بالأحرى أخلقة البحث العلمي في المجال الطبي، من خلال خلق ما يعرف باللجان الأخلاقية التي عرفتها معظم أقطار المعمورة والتي تعززت بجملة من المواثيق والتشريعات القانونية لحقوق الإنسان، وذلك لمواجهة الانتهاكات المتكررة للأبحاث البيو–طبية.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

أولا : المصادر

بالعربية:

1- فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان وعواقب الثورة البيوتكمولوجية، تر: أحمد مستجير، ط1، إصدارات سطور، د م، 2002.

2- فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ و خاتم البشر، تر: حسين أحمد أمين، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1993.

3- فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا ما بعد البشري، عواقب ثورة التقنية الحيوية، تر: إيهاب عبد الرحيم محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2006.

4- يورغن هابرماس: مستقبل الطبيعة الإنسانية نحو نسالة ليبرالية، تر: جورج كتورة، مراجعة أنطوان الهاشم، المكتبة الشرقية، لبنان، بيروت، ط1، 2006.

5- يورغن هابرماس: التقنية والعلم كـ«إيديولوجيا»، تر: حسن صقر، منشورات الجمل ألمانيا، كولونيا، ط1، 2003.

6- يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوشي، وزارة الثقافة، ط1، دمشق،1995.

بالفرنسية:

1- François Dagognet : Considérations sur l'idée de Nature la question de l'écologie par Georges Canguilhem, libraire philosophique j. vrin6 place de la Sorbonne ,paris ,2000.

2- François Dagognet , le vivant . édition bordas. France. Paris, 1988.

3- Hans Jonas: une ettique pour La Nature traet coutine dexiece de bronier Paris, 2000

ثانيا: المراجع

1- أحمد راضي أبو أعرب: الهندسة الوراثية بين الخوف والرجاء، القاهرة، دار الفوائد، 2010.

2- إيمانويل كانط: أسس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار المكاوي،(ألمانيا: منشورات الجمل،ط1، 2002).

3- إسلام الرفاعي عبد الحليم: أخلاقيات حيوية، مدخل لتعليم المفاهيم البيولوجية المعاصرة، الفكر العربي، ط1، بيروت، 2007، ص249.

4- إسماعيل مرحبا: البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية(د م: دار ابن الجوزي النشر والتوزيع، ط1، د ت)، 2017.

5- إمام عبد الفتاح: أرسطو و المرأة، مكتبة مدبولي مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996.

6- الإمام مسلم: صحيح مسلم(المجلد2)، بيروت: دار الكتاب العلمية، 2010.

7- أبو حامد الغزالي: (ب د ت)، المستصفى، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافعي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993.

8- الدراجي زروخي : المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم ، ط1، دار صبحي ، غرداية ، 2015.

9- بولس دحدح: الأنثربولوجيا المسيحية على صورة الله كمثاله، دراسات لاهوتية، دار المشرق، لبنان، 2013.

10- بيير مانييه: مدينة الإنسان، دراسة فكرية، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات الثقافة، دمشق، 2000.

11- بهجت عباس علي: عالم الجينات، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، 1999.

12- بول ريكور، جاك دريدا وآخرون: في الترجمة والفلسفة السياسية والأخلاقية، تر: عز الدين الخطابي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، 2004.

13- جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، ط1، عويدات للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 2001.

14- جون بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، تر:كمال الحاج، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1978.

15- جوزيف معلوف: الأخلاق و الطب(بحث في وسائل منع الحمل والإجهاض والتلقيح الاصطناعي والقتل الرحيم، جونيه المكتبة البوليسية، لبنان،1997.

16- جون وليامز: كتاب الأخلاقيات الطبية، تر: محمد الصالح بن عمار، مر:عبد السلام بن عمار، جمعية الطب العالمية، تونس، 2005.

17- جاك روستان: الأمومة والبيولوجيا، تر: عدنان التريكتي، منشورات عويدات، بيروت 1964.

18- جويل دوروزناي: مغامرة الكائن الحي، تر: أحمد دياب، بيروت: دار الطليعة للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

19- جعفر عبد الأمير الياسين: الإجهاض؛ دراسة قانونية اجتماعية، منشورات الحلبي الحقيقية، ط1، بيروت،2013

20- ديفيد.ب. رزنيك: أخلاقيات العلم، تر: عبد النور عبد المنعم، مطابع السياسة، الكويت، 2005.

21- دانيال كيفليس وليروي هود: الشفرة الوراثية للإنسان القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري، تر: أحمد مستجير، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد217، يناير، 1997.

22- هدى قشقوش: القتل بدافع الشفقة، دار النهضة العربية، مصر، القاهرة، 1996.

23- زيد الكيلاني: البحث الوراثي في خدمة الإنسان، ضمن المؤلف الجماعي: دورة حقوق الإنسان والتصرف في الجينات، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، د2، المغرب، الرباط، 1997.

24- زولت هاريسيناي ورتشارد هود: التنبؤ الوراثي، تر: مصطفى إبراهيم فهمي، مر: مختار الظواهري، العدد:130، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني الثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر1988.

25- حسن المصدق: البيوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف بيروت دار الأمان، ط1، 2014.

26- يوسف محمد: سوسيولوجي العلم والتكنولوجي.دار وائل للنشر، بيروت، ط3، 2009.

27- كلود دوبرو: الممكن والتكنولوجيا الحيوية، تر: ميشال يوسف، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،ط1، 2007.

28- كمال السعيد: شرح قانون العقوبات الجرائم الوقعة للإنسان، دار الثقافة، ط2، الإصدار الثاني، الأردن، 2006م.

29- لوك فيري: الإنسان المؤله ومعنى الحياة، تر:محمد هشام، إفريقيا الشرق، المغرب،2002

30- محمد جديدي: البيوتيقا مقاربة علمانية، بحث محكم، مؤسسة دراسات وأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، الرباط، أكدال، المملكة المغربية، 04سبتمبر 2015.

31- محمد جديدي: ما البيوتيقا؟، منشورات الوطن اليوم، الجزائر، 2020،

32- مصطفى كيحل: مدخل إلى قضليا الفلسفة التطبيقية، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، ط1، 2018.

33- محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997.

34- محمد عابد الجابري: مقدمة لكتاب الكليات في الطب لابن رشد، مركز دراسات الوحدة، لبنان، ط1، 1999.

35- ماركوز هربرت: فلسفة النفي، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الآداب، لبنان، بيروت، 1981.

محمد الحاج علي: سلوك الطبيب أخلاقيات المهنة الطبية، ط1، دار الفضائل، الإمارات العربية، 1999م.

36- محمد عيد شبير: الأخلاقيات الطبية، الأخلاقيات المتعلقة بمهنة التحاليل الطبية، (د.د.ن)،(د.ط)،(د.س.ن)

37- محمد حسين منصور: المسؤولية الطبية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، (د.ط)، (د.س.ن).

38- مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، ج2، دار قباء، القاهرة، 1988.

39- مصطفى النشار: فلاسفة أيقظوا العالم، ط3، دار قباء، مصر، القاهرة، 1998.

40- مصطفى عبد الفتاح لبنى: جريمة إجهاض الحوامل، دراسة في موقف الشرائع السماوية والقوانين المعاصرة، دار أولي النهى للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1996م

41- محمد صالح المحب: حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ، د.ط، دار العربية للعلوم، لبنان، بيروت، 2014.

42- موسى الخلف: العصر الجينومي، سلسلة عالم المعرفة، العدد: 294، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2003.

43- محمد لطفي عبد الفتاح: القانون الجنائي واستخدامات التكنولوجيا الحيوية، مصر: دار الفكر والقانون، 2010.

44- محمد علي البار: الطبيب أدبه وفقهه، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 1993.

45- محمد علي البار: طفل الأنبوب والتلقيح الاصطناعي والرحم والظئر والأجنة المجمدة، (جدة: دار العلم، ط1، د س).

46- إبراهيم محمد قاسم بن محمد رحيم ، أحكام الإجهاض في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، مقدمة إلى جامعة إمام محمد بن سفود الإسلامية ، ط1، بريطانيا، 2002م.

47- محمود أحمد طه: الأساليب الطبية المعاصرة وانعكاساتها على المسؤولية الجنائية للطبيب وتحديد لحظة الوفاة، الإنعاش الصناعي نقل الأعضاء البشرية، إجراء التجارب الطبية، المنصورة: دار الفكر والقانون، مصر، المنصورة، 2015.

48- مها علي فهمي صدقي: أساسيات علم الوراثة الصفات والأمراض الوراثية، ط1، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، 2013م.

49- ميشال فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي ، تر:سعيد بن كراد،المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

50- ميشال فوكو: حفريات المعرفة، تر:سالم يفوت، المركز الثقافي، بيروت، ط2، 1987.

51- نصر الدين مروك: الحماية الجنائية للحق في سلامة الجسم،(الجزائر: الديوان الوطني للأشغال العمومية،ط1، 2003).

52- نور الدين حربوش: الإدارة الصحية وفق نظام الجودة الشاملة، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.

53- نورة بوحناش: الأخلاق والرهانات التقنية الإنسانية ، المغرب:, إفريقيا الشرق، 2013.

54- ناهدة البقمصي: الهندسة الوراثية والأخلاق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م.

55- سالم ياقوت : المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر،دار الطبيعة للنشر،بيروت،1993.

56- سمية بيدوح: فلسفة الجسد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، بيروت، 2007.

57- سمية بيدوح: فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، 2009.

58- سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1984.

59- خالد بن علي المشيقح: المسائل الطبية والمعاملات المالية المعاصرة من دروس الدورة العلمية بجامع الراجحي، ببريدة، السعودية، 1425هـ.

60- عادل عوض: الأصول الفلسفية لأخلاقيات الطب، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية ، د. ط، 2011.

61- عبد الوهاب بوحديبة: الإنسان في الإسلام، د.ط، دار الجنوب، تونس، 2008.

62- علي شريعاتي: الإنسان والإسلام، ط1، سلسلة الآثار كاملة، دار الأمير، لبنان، 2006.

63- عبد الرزاق الداوي: حوار الفلسفة والعلم والأخلاق في مطلع الألفية الثالثة (تأملات جديدة لهابرماس في مجال أخلاقيات البيولوجيا)،شركة النشر والتوزيع-المدارس- ،الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2004.

64- عبد الرزاق الداوي: موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر هيدغر، ليفي ستروس، ميشال فوكو، دار الطليعة، بيروت

65- عبد الباسط الجمل: الهندسة الوراثية وأبحاث الدواء، دار الرشاد للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1998.

66- عمر بوفتاس: البيوتيقا؛ الأخلاقيات الجديدة في مواجهة تجاوزات البيوتكنولوجيا، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2011.

67- عبد الهادي مصباح المهدي: العلاج الجنيني واستنساخ الأعضاء البشرية رؤية مستقبلية للطب والعلاج خلال القرن الحادي والعشرين، ط1، الدار المصرية اللبنانية، مصر، القاهرة، 1999.

68- علي الشامي: الفلسفة والإنسان جدلية العلاقة بين الفكر والوجود، دار الإنسانية للدراسات والنشر والطباعة والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 1991.

69- علي عبود: الفعل الاستراتيجي ومأزق الأخلاق، ضمن كتاب جماعي، (البيوتيقا و المهمة الفلسفية ...)، مجموعة باحثين، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، 2014.

70- عبد المحسن صالح: التنبؤ العلمي و مستقبل الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، الكويت، 1981.

71- علي محي الدين القراه داعي، علي يوسف المحمدي: فقه القضايا الطبية المعاصرة، بيروت، لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط2، 2006.

72- رشيد دحدوح: ابستيمولوجيا العلوم الطبية والبيولوجية عند جورج كانغيلام، دار الروافد الثقافية – ناشرون–، بيروت، لبنان، ط1، 2013.

73- روجيه الجاويش: الأخلاقيات في الطب، مدخل إلى مقارنة فلسفة، ط1، نوفل ، بيروت، لبنان، 2008.

74- صبري الدمرداش: الاستنساخ قنبلة العصر، شركة العبيكان للنشر، ط1، السعودية، 2001.

75- شحاتة عبد المطلب حسن أحمد: الإجهاض بين الحظر والإباحة في الفقه الإسلامي، دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، الإسكندرية، 2006م

المراجع بالفرنسية:

1- Gug Durand, Introduction general bioéthique, p 146.

2- Gvg, introduction générale a la bioéthique,p 148.

3- Henri-jean phillippe et autres Gynécologie obstétrique (connaissances et pratique),paris: Elsevier.Masson,2006.

4_ G.canguillhem: Études d'histoire et de philosophie des sciences, Librairie philosophique j.vrin ,Paris, 6 édition augmentée,1994..

5- F.Bing et J.F.Beaunstein: Entretien avec G.canguilhem, in Actuateé de Georges Canguilhem: le normal et le pathologique institut sunthélabo pour le progrès de la connaissance, 1998.

6- G.canguilhem: le normal et pathologique, p.U.F, Paris, 5éme édition, 1994.

المعاجم و الموسوعات:

أ- المعاجم:

1- إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، مادة الإنسان، د ط، الهيئة العامة لمطابع الأميرية، القاهرة،1983.

2- ابن منظور: لسان العرب، مجلد3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1405هـ.

3- جون فرانسوا دورتييه: معجم العلوم الإنسانية، تر: جورج كتورة، ط4، دار الكلمة، أبو ظبي، 2009.

4- محمود يعقوبي: معجم الفلسفة أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، دار الكتاب الحديث، دار فارس للنشر،ط1، الأردن، 2007.

4- محمد محمد داود: معجم الوسيط(د.م، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع)، ط1، 2007.

ب- الموسوعات:

بالعربية:

1- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ج1، مادة البيولوجيا ، ط2، تر: أحمد خليل، منشورات عويدات، لبنان، 2001.

2- علي حرب: موسوعة الأبحاث الفلسفية للرابطة العربية للأكاديمية الفلسفية، الفلسفة الغربية المعاصرة، ج2، منشورات ضفاف، دار أمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الرابطة المصرية الأكاديمية للفلسفة، 2013.

بالفرنسية:

[1]- Dominique lecourt(sous la direction), dictionnaire de la pensé médicale, paris, P.U.F/Quadrige, 2004, p158.

الدوريات:

أ- المجلات:

1- رشيد دحدوح :(مجلة العلوم الإنسانية: من فلسفة العلوم إلى البيواطيقا- واقع العلوم البيو-طبية وأزمة الوعي الأخلاقي الغربي)، العدد37، جوان2012، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2، الجزائر.

2- عبد الغفار مكاوي: رسالة التفلسف، البيوتيقا، أوراق فلسفية، مجلة غير دوري: العدد 36، سنة 2013.

3- ليلى إبراهيم: مجلة العربي، بنوك الأجنة المجمدة، قنبلة علمية جديدة، العدد 282، 1982.

4- مجموعة من المؤلفين: فقه الطبيب، ندوات حوارية- تفاعلية، مقال ل: بيير كوبر، علم الأخلاق الحيوي، أسسه وقيمه ومرجعيته، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، 2010.

5- مجموعة مؤلفين: البيوتيقا والمهمة الفلسفية، أخلاق البايولوجيا ورهانات التقنية، مقال العمري حربوش، من البيوتيقا إلى البيو سياسة، الجزائر: منشورات اختلاف ، ط1، 2014

6- مجموعة مؤلفين: أخلاقيات طب الحياة، المكتبة البوليسية،لبنان، ط2، 2006.

7- محمد جديدي: البيوتيقا ورهانات الفلسفة القادمة، مجلة مؤمنون بلا حدود، 10ماي 2016.

8- محمد فاضل ابراهيم الحديثي: حكم إسقاط الجنين المشوه بين الشريعة والطب، كلية العلوم الإسلامية، مجلة جامعة الدار العلوم الإسلامية، المجلد4، العدد 15 الرمادي،2013

9- سعيد محمد الحفار: البيولوجيا ومصير الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 83، 1984.

10- نور الدين بن مختار الخادمي: قتل الرحمة وإيقاف العلاج عن المرض الميؤوس من شفائه حكمه ومدركاته، مجلة المجمع الفقهي، دورية، العدد 41، 2018م.

11- وجدي عبد الفتاح سواحل: الهندسة الوراثية والتقنية الحيوية، مجلة عالم الفكر، العدد 35، 02ديسمبر 2006.

12- زهير الكرمي: العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني الثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 5مايو1978.

13- عائشة أحمد حسن:(المجلة الجامعة، الاستنساخ والإشكاليات الأخلاقية)، المجلد1، العدد15، 2013، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الزاوية الزاوية، ليبيا، 2013.

14- سفيان عمران(مجلة التواصل: تقنيات الإنجاب الحديثة و مشكلاتها الأخلاقية)، العدد01، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة سطيف2، الجزائر، 2022.

15- عبد المحسن الصالح: التنبؤ العلمي و مستقبل الإنسان، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ديسمبر 1981.

16- عمر زرقاوي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، مجلة الرافد، دار الثقافة والإعلام، العدد 56، أكتوبر 2013.

17- سمية بيدوح : الجسد في ظل التطورات العلمية الراهنة ، الأخلاقيات التطبيقية و الرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي، إصدارات الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية، 2016.

18- صالح فواز: مبدأ احترام الكرامة الإنسانية في مجال الأخلاقيات الحيوية، (دراسة قانونية مقارنة)، العدد الأول، المجلد الأول، قسم القانون الخاص، كلية الحقوق، جامعة دمشق العلوم اقتصادية والقانونية، سوريا، 2011.

الرسائل الجامعية:

1- أحمد باحمد: الأخلاق التطبيقية عند يورغن هابرماس، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الفلسفة، إشراف: أحمد عطار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016م.

2- بن علي محمد: سؤال الإنسان في الفكر العربي الإسلامي الليبرالي الغربي، دراسة فلسفية في المفهوم والحقوق، أطروحة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، 2013.

3- برني نذير: حماية الكرامة الإنسانية في ظل الممارسات الطبية الحديثة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الحقوق، تخصص: قانون خاص، إشراف: الأستاذ تشوار جيلالي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية: 2016- 2017.

4- محمد نعمان علي البعداني، مستجدات العلوم الكلية وأثرها في الاختلافات الفقهية -دراسة مقارنة - أطروحة دكتوراه في الفقه الإسلامي، إشراف: إبراهيم عبد الصادق محمود، كلية الدراسات العليا، كلية الشريعة والقانون، قسم الفقه المقارن، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2016.

5- محمد عطا أبو سمعان: منزلة الإنسان ووجوده في المذاهب الفكرية المعاصرة دراسة نقدية في ضوء الإسلام، مذكرة ماجيستير، إشراف الرقب صالح حسين سليمان، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، فلسطين، 2011م.

6- نايف بن عبد الرزاق بن حمادي المطرفي: الفردية في الفلسفة البراغماتية، دراسة تحليلية ناقدة من وجهة نظر التربية الإسلامية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، إشراف الدكتور محمد عيسى فهيم، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، المنارة للاستشارات، المملكة العربية السعودية، 1432-1433هـ(2012م).

7- العمري حربوش: التقنيات الطبية و قيمتها الأخلاقية في فلسفة فرانسوا داعونياي، مذكرة لنيل الماجيستير في الفلسفة، إشراف محمد جديدي، جامعة منتوري بقسنطينة، كلية العلوم الإنسانية، قسم الفلسفة، الجزائر، 2008م.

المواقع الإلكترونية:

1- Nouzha Guessous: devenire bioéthicien(ne) to become bioethicist (2005-2007).

https://www.cairn.info/publications-de-Nouzha-Guessous--102112.htm

2- www.ar.wikipedia.org.

3- https://www.un.org.

4- www.JOHEALTH.COM/STATIC/LAW/PAGE1.HTM.

5- رجاء بن سلامة: البيوتيقا، سلطة التقنية وتنافر القيم.

http://vfll.blogspot.com/2009/12/blog-.

spot_1383.html

6- الرهانات الكبرى للبيوتيقا:

https://www.facebook.com/note.php?note_id=180495569870

7- مفهوم الإنسان في الفلسفة: https://mawdoo3.com

:8www.almouthakaf.com

9- الاستنساخ الحيوي الخليفة العلمية الجدل الديني والأخلاقي: www.avkocatdumarou.com

10- الهندسة الوراثية في النبات والحيوان في الشريعة الإسلامية:
https://search.mandumah.com/Record/218252

11- غادة الحلايقة: مجلة موضوع، مفهوم الإنسان في الفلسفة، 2018/04/20.
https://mawdoo3.com

12- إنسان: www.wekipedi.ORG، اطلع عليه يوم: 2023/05/22، 12:46.

13- www.ar.m.wikipedia.org استنساخ ويكيبيديا: اطلع عليه يوم: 2023/05/29، 22:59.

14- محمد إشماعو: الاستنساخ الحيوي الخليفة العلمية الجدل الديني والأخلاقي، www.almouthakaf.com 2018/03/20م، 11:30 pm.

15- محمد إشماعو: الاستنساخ الحيوي الخليفة العلمية الجدل الديني والأخلاقي، الرابط: www.avkocatdumarou.com 2018/03/11، 10:12pm.

16- أحمد إدريس: مقال ضوابط المصلحة الشرعية(2)، مجلة إسلام أون لاين، الرابط: https://islamonline.net.

17- www.ONLINE/SPARN BANK/DICTIONARY.

18- رمزي البرنوطي:المني البشري والعقم، بغداد:الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، ط2،دت ، 2001،. متاح على: www.DICTIONARY/ONLINE/OUUM/BANK.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة .....أ- هـ.

الفصل الأول: مدخل إلى البيوتيقا

المبحث الأول: مفهوم البيوتيقا ونشأتها 7

أولا: مفهوم البيوتيقا 7

ثانيا: مفهوم البيوتيقا عند بعض الفلاسفة 9

ثالثا: نشأة البيوتيقا 12

1- الجذور الفكرية للبيوتيقا 12

3- الجذور القانونية 16

4- دور الفلاسفة في نشأة البيوتيقا 21

المبحث الثاني: مجالات البيوتيقا 26

أولا: أخلاقيات العيادة 26

ثانيا: أخلاقيات البحث العلمي 29

ثالثا: أخلاقيات السياسة الصحية 31

الفصل الثاني: الإنسان ما بين الفلسفة والعلم

المبحث الأول: مفهوم الإنسان في الفلسفة 33

أولا: المفهوم العام للإنسان في الفلسفة 34

ثانيا: الرؤية الفلسفية للإنسان 36

1- العصر اليوناني.....36

2- العصور الوسطى 37

3- العصر الحديث 42

4- العصر المعاصر 44

المبحث الثاني: الإنسان في البيوتيقا 47

1- الإنسان في ظل إشكالية تحديد النسل 49

2- مفهوم الإنسان في الاستنساخ البشري 51

3- مفهوم الإنسان في ظل الموت الرحيم.....54

الفصـــــل الثالـــــــث: التداعيات الأخلاقية للبيوتيقا

المبحث الأول:التداعيات الأخلاقية لبيوتيقا ما بعد الإنسان.....59

المطلب الأول: من الإنسانية إلى ما بعد الإنسانية.....59

مفهوم ما بعد الإنسان.....60

التحديات الاستشرافية لبيوتيقا ما بعد الإنسان.....60

المطلب الثاني: قيم ما بعد الإنسان.....64

المبحث الثاني: موقف الفلسفة من بيوتيقا ما بعد الإنسان.....65

فلاسفة "ما بعد الإنسان.....65

1- فرانسيس فوكوياما.....66

2- يورغن هابرماس.....71

3- هانس جوناس.....72

الخاتمة:.....74

قائمة المصادر والمراجع.....79

فهرس المحتويات 91